مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨
مكتبة الأسرة



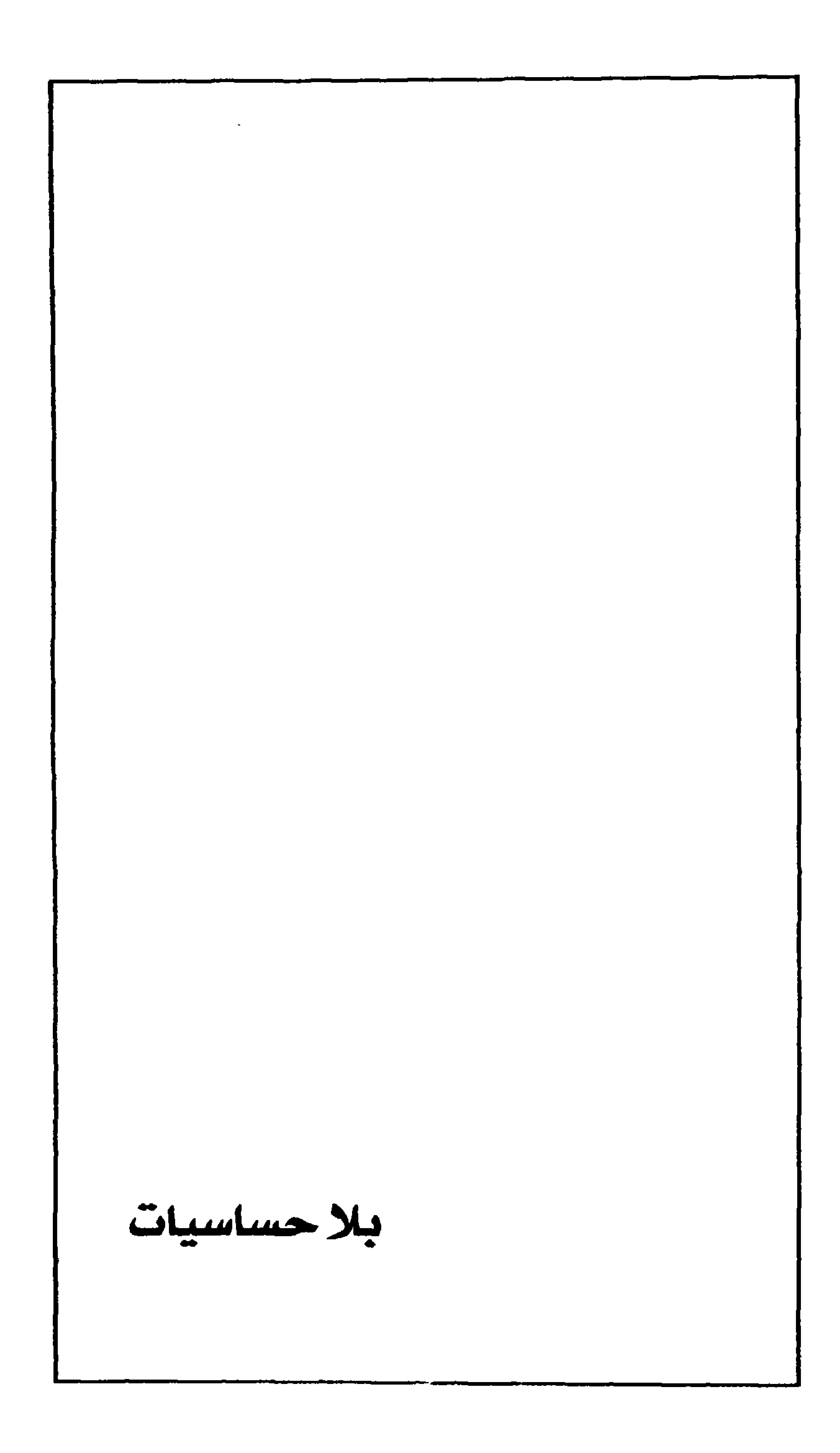
سمير رجب

بلا حساسيات

الأعمال الخاصة



الهيئة المصرية
العامة للكتاب


بلا حساسيات

بلا حساسيات

سمير رجب



مهرجان القراءة للجميع ٩٨

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الخاصة)

بلا حساسيات

سمير رجب

الغلاف:

الإشراف الفني:
للفنان محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب

على سبيل التقديم

تواصل مكتبة الأسرة ٩٨ رسالتها التنويرية وأهدافها النبيلة بربط الأجيال بتراثها الحضارى المتميز منذ فجر التاريخ وإتاحة الفرصة أمام القارئ للتواصل مع الثقافات الأخرى، لأن الكتاب مصدر الثقافة الخالد هو قلعتنا الحصينة وسلاحنا الماضى فى مواكبة عصر المعلومات والمعرفة.

د. سمير سرحان

إهـــــــداء

إلى كل من أضاف لبنة للصرح الكبير.. إلى كل من علم وتعلم فوق أرض الخير والجمال.. إلى كل من شارك فى صناعة المجد العظيم منذ سبعة قرون من الزمان.. إلى كل ابن وابنة يتقدمان بخطى ثابتة وإرادة صلبة نحو عتبات القرن الحادى والعشرين.. أهدى هذا الكتاب.

«سمير رجب»

مقدمة

شهدت الحضارة الإنسانية منذ فجر التاريخ مراحل ازدهار ونماء.. بالضبط مثلما مرت بالشعوب قرون عجاف.. لكن الله سبحانه وتعالى منح الإنسان.. القدرة على التكيف مع الظروف وفقاً لما يتوفر بين يديه من أساليب تختلف من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان.. وإن كان مرجعها جميعاً «العقل» الذى وهبه الخالق لعباده ليميزهم عن غيرهم من المخلوقات.

●●●

لن أضيف جديداً حينما أقول إن مصر خرجت وشعبها إلي الوجود فى حقبة كانت البشرية تحتاج إلي مزيد من اشعاعات النور لسبر أغوار الضلالة والجهل.. فأدت كنانة الله فى الأرض دورها أفضل ما يكون.

ثم تعاقبت الأيام والشهور والسنون.. ونحن تارة فى أوائل الصفوف.. وتارة أخرى نتراجع إلى الخلف لأسباب عز على شعبها فى تلك الأوقات قهرها..

ان ما تجمع عليه الدنيا بأسرها أن ابناء هذا الشعب لم يحنو أبداً ظهورهم ولم ييأسوا ولم يتخاذلوا.. بل طالما ضربوا القدوة والمثل فى التضحية، والايثار، والاقدام، وتحويل المستحيل إلى ممكن.

من الحقبات التى نعترف بأن ساعاتها مرت بنا ثقيلة متباطئة تلك التى انطفأت أثناءها مشاعل الحرية، وعجزت الأقلام عن التعبير عما يجيش فى الصدور.. وتوقف «الكمبيوتر الالهى» إلى حين.. وأنه يعد العدة للانطلاقه الهائلة والمأمولة.

وهذا ما حدث بالفعل.. فبعد القيود العنيفة التى احاطت بكلمة الحق.. إذا بعصر جديد يأتى لتخرج هذه الكلمة من عقالها فتدوى الأصوات عالية متغنية بأعذب الالحان.. العدل والمساواه والديمقراطية وسيادة القانون.

●●●

إن هذا الكتاب الذى أدعوك لقراءته.. والذى اخترت له عنوان «بلا حساسيات».. جاءت سطوره لتعكس ملامح العصر الجديد دون رتوش أو تزويق.. حيث تتضمن قواعد ومظاهر النهضة الكبرى التى بدأت تغزو كافة نشاطات الحياة فى مصر.. لكن ما ينبغى أن تتأكد منه قبل أن تطالع صفحات الكتاب.. أننى لم اجامل، ولم اتجاوز حقيقة، ولم اتحيز.. أيضاً لم اتجن.. ولم أزعم باطلاً.. بل حسبى دائماً ربى ورب العالمين، وضميرى ومهنتى الغالية التى اعتز بها ما حييت.

﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذّكر أولو الألباب﴾

«صدق الله العظيم»

المؤلف

القاهرة فى ١٩٩٨/٧/٢٧

هؤلاء التلاميذ (الأغبياء) فى الخرطوم

حكام الإرهاب فى السودان.. لا يروقهم أن يتهموا بالخيانة، والتآمر زاعمين بأن ذلك لم يحدث على مدى التاريخ بين الشقيقتين.. والجارتين.. مصر، والسودان!!

نعم.. ربما هذا لم يحدث فعلا لسبب بسيط.. أن السودان لم يتول زمام أمره يوماً.. أناس أقاموا أوكار التدريب على القتل، وسفك الدماء، وتدمير المنشآت والمؤسسات ودفعوا بمعتادى الاجرام إلى مصر فى محاولات خسيسة للترويع من أمن أبنائها وبناتها..!

.. ولم نقرأ أبداً فى ملفات التاريخ.. أن حاكماً سودانياً من أى جنس، أو ملة، أو دين.. قد شارك فى عملية حقيرة تستهدف اغتيال زعيم مصرى!

●●●

إذن بدلاً من أن يلوم حكام الإرهاب فى الخرطوم غيرهم.. يجب أن يداروا عوراتهم أولاً.. ويصلحوا من أنفسهم.. بعد أن زكمت رائحتهم العفنة ليس أنوف المصريين فحسب.. بل امتدت لتثير قرف، واشمئزاز العالم أجمع.

●●●

لقد بيّن الرئيس مبارك فى خطابه بمناسبة ذكرى ثورة يوليو كيف قدمت مصر مصالح شعب السودان على مصالحها.. وكيف سعت إى تحقيق الاستقلال لأراضيه كأنها أرض مصرية تماماً.. وهى حينما فعلت ذلك.. لم تحركها دوافع خارجية.. ولم

تخضع لضغط من هنا، أو هناك.. بل كان رائدها دائماً.. أن ينال السودانيون حقهم في الحرية، والحياة.. شأنهم شأن شعوب الأرض العديدة.

●●●

لكن شاء القدر .. أن يقفز إلى مقعد الحكم.. هؤلاء الترابيون الذين أذاقوا الشعب الطيب.. الأمرين.. وحرموهم.. حتى من استنشاق الهواء النظيف!

من هنا.. فإن مصر قد آلت على نفسها ـ حتى في أحلك الظروف وأقساها ـ ألا تتخلى عن الأحباب، والأصدقاء.. بالعكس.. سوف تظل تمد لهم الجسور، وتدعم الروابط.. وتبذل أقصى جهدها لرتق الثقوب.. في نفس الوقت الذي تواجه فيه رؤوس الإرهاب بكل حسم، وجسارة.. إلى أن يؤمنوا بأن الله حق، ويعلنوا على الملأ أن ما ارتكبوه من أفعال شائنة ضد الشقيقة الكبرى.. يستحقون عليه أقصى العقاب.

●●●

<u>وفي النهاية.. تبقى كلمة:</u>

لا أعتقد أن ثقافة الترابي، أو سكرتيره البشير.. تؤهل أيا منهما لتقييم ثورة يوليو في أي مرحلة من مراحلها.. لأن هذه الثورة منذ عام ١٩٥٢ وحتى اليوم.. كانت محور اهتمام، ودراسة، وتحليل المفكرين، والخبراء، والمحللين السياسيين الذين يشار إليهم بالبنان.. وبالتالي.. فإن ما يصدر عن حكام الارهاب من تعليقات، أو تصريحات بشأنها. إنما يثبت على الفور.. أن عزلتهم.. قد أغلقت دونهم أبواب العلم، والمعرفة.. فظهروا كالتلاميذ البلداء أو بالأحرى الأغبياء الذين لا يستطيعون التمييز بين الشيء، ونقيضه..!!

إن ثورة يوليو ـ يا سادة ـ هي صاحبة القلب الكبير.. وسوف تظل كذلك إلى يوم الدين.. لأنها لو قررت أن تنهج نهجاً مخالفاً.. لأصبح الترابي والبشير في أسفل سافلين..!!

إنسانية.. الحاكم

اتسم حكم الرئيس مبارك.. بالغيرية، والايثار، والتعاطف الوجدانى بين الناس.. والسبب أن مبارك، قد رفع منذ اليوم الأول لتوليه زمام القيادة.. سلاح الحق، والعدل، والمساواة.. مؤكداً حرصه على مصالح كل من الفقراء والأغنياء.. العمال وأصحاب العمل.. الملاك والمستأجرين.. المدرسين والطلاب.. وذلك ـ ولاشك ـ نهج افتقدناه على مدى تاريخنا الطويل.. سواء قبل ثورة يوليو عام ١٩٥٢ أو بعدها.

●●●

فى نفس الوقت.. لم يحدث أن ترك الرئيس.. مواطنيه لحظة واحدة فى أية مناسبة من المناسبات.. أو أزمة من الأزمات.. بل دائما نجده بيننا.. صديقا، وأخا، وابنا بارا لمصر الغالية.

من هنا.. ترعرعت داخل الصدور البذور الطيبة التى توارثناها جيلا بعد جيل.. ليعزف الحاكم والمحكومون نغمة واحدة ترددها مواكب الحب، والمودة، والوفاء.

والأمثلة.. عديدة ومتنوعة:

● زلزال أكتوبر عام ١٩٩٢ وكيف عاد الرئيس مبارك فى التو واللحظة من الصين ليكون بجوار شعبه.. مؤازرا، ومواسياً.

● نفس الحال بالنسبة لسيول نوفمبر عام ١٩٩٤.

● في شهر رمضان.. تجده مع ليلة القدر.. جامعاً الصحاب يدعو معهم الله سبحانه وتعالى بأن يعيش الوطن فى استقرار ، وأمان.

● فى العيدين.. الفطر، والأضحى.. يؤدى مع الملايين الصلاة.. مكبرا.. مناديا ربه ورب العالمين أن يحقق الخير لأمته.

● هذه اللفتة الإنسانية التى بدرت منه.. عندما كلف وزير الصحة بالتوجه إلى مستشفى ملوى ليطمئن على أحوال اخوانه هناك، ويتأكد ما إذا كانوا يلقون الرعاية الواجبة أم لا.. ثم سرعان ما أصدر تعليماته بدعم المستشفى بمليون جنيه.

● عندما نما إلى علم الرئيس مبارك نبأ مرض المطرب محمد قنديل.. قام بالاتصال بالدكتور كمال الجنزورى رئيس الوزراء وطالبه باتخاذ الاجراءات اللازمة لسفر «المواطن المصرى محمد قنديل» إلى أمريكا لاجراء جراحة خطيرة فى القلب.

نفس الموقف اتخذه الرئيس مع مواطنين كثيرين.. وهو لا يتردد لحظة فى تكراره مع من تستدعى حالته أن ينال العلاج فى الخارج.

●●●

وبعد..

إنها إنسانية الحاكم التى تنعكس كل يوم على مختلف مجالات الحياة.. والتى تؤكد دوما.. أن للزعامة رجالها، ومقوماتها.

مبارك.. ولحظة الاختبار الحقيقية

شعب مصر.. أصيل عظيم.

شعب مصر قادر على أن يدحر بكل العنفوان والقوة.. أية أهواء مغرضة تحاول أن تقلب الحقائق أمام ناظريه، أو تشوه الصورة فى وجدانه أو تخاطب مشاعره بالاثارات السطحية والدعاوات المضللة.

شعب مصر.. شعب المبدأ، والعزة، والشرف
مصر.. السلام الذى لا يخون
مصر.. الدرع التى تحمى وتصون
مصر.. التى لا تباع ولا تشترى فى أى زمن تكون.
مصر التى لا تفرط فى كرامتها، أو تتاجر بموقفها، أو كلمتها.

مصر.. المتطلعة إلى عالم جديد.. يؤمن بأن الوقت من ذهب.. لكن هذا الذهب يتحول إلى تراب إذا نحن تخلفنا عن موكب التطور، والبناء، وأدرنا ظهورنا لمجتمع الترابط بالصدق، والوفاء، وحكم الإنسان الذى يحترم حقوق الإنسان.

●●●

هذه كلمات مبارك.. الذى أمن بمصر إيمانا لا حدود له.. وعرف قدر شعبها خير ما تكون المعرفة.. لذلك.. ما أن حانت ساعة الاختبار الحقيقية.. حتى بادرت مصر.. شعبا.. وأرضا.. وكيانا.. بتحويل الكلمات إلى واقع.. لأن العقد الذى تم

ابرامه عن رضا، وطيب خاطر منذ عام ١٩٨١ .. قام على الصدق، والصراحة، والحق.

●●●

إن محاولة الخسة، والنذالة التى جرت على أرض أديس أبابا.. قد أرادت أن تطعن عظمة مصر.. فإذا بها تهب ماردا جبارا.. يذود عن مبادىء وقيم الزعيم.. مؤكدا للعالمين.. أن المصير.. مصير، والمبدأ.. مبدأ، والحياة حياة.

أيضا.. هذا التآمر القذر الذى جمع بين عناصر شتى قد استهدف ـ ولاشك ـ تحطيم الدرع التى وصفها مبارك يوما بأنها تحمى وتصون.. لكن ها هى جماهير النضال والكفاح.. تثبت والحمد لله.. أن الدرع سوف تظل قادرة.. منيعة.. لا يجرؤ أحد على النيل منها تحت وطأة أى ظرف من الظروف.

●●●

.. وإذا كانت قوى الشر قد ساءها.. أن تسمو مكانة مصر، ويلمع بريقها يوما بعد يوم.. فإن ينابيع الخير قد تفجرت من كل فج لتزيد مسيرة الحرية، والديمقراطية، وسيادة القانون نماء، وازدهارا.

●●●

لقد تعود حسنى مبارك على أن يخاطب الجماهير من القلب.. للقلب.. وبالتالى جاءت مواقفه كلها متسقة مع أحلامه وآماله.. وتفاعلت أقواله مع أفعاله.. لتقيم جسورا راسخة بينه وبيننا.. من هنا.. فإن اللغة المشتركة التى تجمعنا.. كانت أبلغ دلالة على أننا قوم الصلابة، والشهامة، والنهضة، والوفاء.

●●●

سيادة الرئيس..

لقد حرصت دوما على أن تؤكد أنك رئيس لكل المصريين.. وأنا أقول ـ ودون تحيز، أو مجاملة ـ إن أحزاب «المعارضة» لم تلق منك إلا كل تقدير، وحب، ومودة..

فقد ألفت ـ والحق يقال ـ بين القلوب.. لهذا.. التفت حولك كل القلوب.. تؤكد ولاءها، ومبايعتها لك.. فليس من ربان غيرك يستطيع أن يقود السفينة إلي بر الأمان.

●●●

وفي النهاية.. تبقى كلمة:

الآن ـ يا سيادة الرئيس ـ بعد أن بايعناك لفترة رئاسية جديدة.. نعدك.. بأننا سوف نترجم هذه المبايعة إلى عمل جاد لكى نحقق بكل فعالية، وإيجابية المبادىء التى أرسيتها.. والسياسات التى رسمتها وناديت بها.. فنحن نريد أن يكون الطريق إلى القرن الواحد والعشرين.. ممهدا.. فسيحا.. تضىء كافة جوانبه مشاعل النور، والأمن، والسلام.. والله سبحانه وتعالى هادينا، ومرشدنا.

.. واختصر . مبارك .. الطريق

ما أحلى.. أن ترتفع الهامات.. ويشتد الجسد.. ويقوى البنيان.

وما أروع.. أن تتحد المواقف.. وتصفو النوايا.. ويحل الاتفاق محل الشقاق، والنزاع.

وما أجمل.. أن يصبح المستقبل.. حاضرا.. والحاضر انطلاقة.. والماضى درساً وعبرة.

●●●

لقد شدت أنباء القمة العربية «الموسعة».. اهتمام العالم الذى بدأ يدرك منذ اللحظات الأولى.. أن هذه الأمة.. مهما تعرضت من ظروف، ومهما عانت من انقسامات.. لابد أن يجىء عليها يوم تنهض فيه من عثرتها.. تسرع الخطى.. تتقدم الصفوف محاولة تعويض ما فات إدراكا من قادتها، وشعوبها بأهمية وجود مساحة كبيرة تحت قرص الشمس.

●●●

لقد بذل الرئيس مبارك - والحق يقال - أقصى جهد على مدى الخمس سَنوات الماضية.. من أجل رأب الصدع، وترميم الجسور، ورتق الثقوب..

عمل الرئيس فى مناخ ساده التوتر من كل جانب.. حيث كانت الكلمات تفسر بغير معانيها الحقيقية.. والصدور يفيض بها الكيل.. وغصة «الحلوق» تزداد إيلاما يوما بعد يوم.

لكن «مبارك» لم يتخل أبدا عن تفاؤله.. ولم يفقد إيمانه.. بل اعتبر أن كل بصيص من نور مهما كان ضئيلا.. فلابد أن يهدى فى النهاية.. إلى الطاقات الواسعة التى تنهزم أمامها وتنكسر غيامات الظلام.

لقد اختصر الرئيس الطريق.. وما كان مقدرا تنفيذه فى شهور.. بل ربما فى سنوات.. نجح فى تحقيقه خلال أيام.

إن هذه الاستجابة السريعة، والايجابية لدعوة مصر لحضور مؤتمر القمة العربى على أراضيها.. إنما تمثل طفرة هائلة فى القيمة، وفى العلاقة الإنسانية، وتعكس تغيرا جوهريا فى المفهوم، والسلوك.

●●●

إن مصر.. وهى تحتضن المؤتمر.. إنما تريد أن تقول لقادة وشعوب العرب ـ بلا استثناء ـ: أنتم الأخوة، والأشقاء.. أنتم الهدف، والمصير.. أنتم أسلحة الحق، واليقين.. أنتم الذين تعلون كلمتكم.. فيستمع إليكم الآخرون بكل الثقة، والاهتمام.

أهلا بالقادة العرب على أرض مصر..

أهلا بهم.. وهم يرسمون ملامح الغد..

أهلاً بهم.. وهم يبعثون برسائل للشرق والغرب.. يضمنونها فكرهم، ويذكرون أولى الألباب بأن شعوبهم سوف تبقى باذن الله واعدة.. صاعدة.. فاعلة حتى يوم الدين.

●●●

إن مصر.. التى استضافت مؤتمرات عديدة مماثلة من قبل.. لن تألو جهدا فى توفير كافة مقومات الأمان، والطمأنينة، والراحة لرؤساء وأعضاء الوفود المشاركة فى المؤتمر الكبير.. حتى تتيح لهم الفرصة لكى يتحاوروا، ويتناقشوا، ويصدروا قراراتهم، وتوصياتهم.. بحرية، وشجاعة، وجرأة.. التى تنتظرها الدنيا بأسرها.

انتبهوا . يادعاة الديمقراطية

أخذ نظام الحكم فى مصر بالديمقراطية.. مذهباً، وسلوكاً.. تلك الديمقراطية التى تمثلت فى تعزيز مبدأ السيادة للشعب، واقرار الفصل بين السلطات، ودعم الحقوق العامة.

●●●

فى إطار الحقوق والحريات العامة.. انطلقت حرية الرأى بلا قيد تعبر عما يؤمن به «المواطن» صاحب القلم من فكر، وعقيدة.. لكن ـ للأسف ـ غابت حقيقة عن البعض تقول.. إن الديمقراطية لا يمكن أن تنمو، أو تزدهر.. بغير إدراك للقيم، والمفاهيم التى تتفق مع تقاليد المجتمع.. إذ عندما تنهار القيم، ويخبو الوعى الأخلاقى.. تتحول الحرية التى تظلها الديمقراطية إلى نوع من الفوضى.. لأنها عندئذ.. تنبعث من فكر سقيم يهدد سلامة، وأمن الوطن والمواطنين..!

●●●

أيضاً.. تتحمل الثقافة مع التربية.. مسئولية اقامة البنية الأساسية للديمقراطية.. بكل ما يحويه معنى الثقافة من تقاليد، ونماذج للسلوك الاجتماعى، وتراث حضارى.. يعمق الجذور التى تتفرع منها وتتشعب غصون حياتنا العامة..!

ولقد أحسن الرئيس مبارك صنعا ـ ولاشك ـ عندما جعل من تطوير التعليم، والنهوض بالتربية مشروعاً قوميا لمصر حتى نهاية هذا القرن.

إن الجماهير فى حاجة إلى ثقافة تعبر عن نبض قلبها الحقيقى.. تستلهم منها الآمال التى تنشدها.. وتحدد فى ضوئها.. أبعاد التغيير المطلوب.. وبالتالى إذا مارست الجماهير حريتها تحت مظلة الديمقراطية الحقة كانت الحرية واعية والعكس صحيح طبعاً.

●●●

لهذا.. نقول.. إن جميع دعاة الديمقراطية يقع عليهم عبء مواجهة الفكر اللعين.. هذه المواجهة لا تكون بالقضاء على الفكر المتطرف فقط.. وانما من خلال بناء الفكر السليم بالتربية، والثقافة.

والمهمة هنا ليست مهمة الحكومة.. أو حزب بعينه.. بل إنها مسئولية كل الأحزاب.. لهذا بات غريباً.. أن يتبنى أحد الأحزاب رعاية الفكر المتطرف.. والترويج له، والتصفيق للقتلة، والسفاحين الذين يرتكبون جرائمهم باسمه..!! والغريب أن نفس هذا الحزب يتغنى بالديمقراطية فأصبح يناقض.. نفسه بنفسه.. وقد فات عليه.. أن التعددية الحزبية.. إنما هى ثمرة من ثمار الديمقراطية.. ويوم أن يسود الفكر المتطرف بدكتاتوريته.. تنهار على الفور صروح الديمقراطية.. ومعها التعددية الحزبية..!

●●●

تحت مظلة الفكر المتطرف «السوداء» تتلاشى حرية الصحافة وتوصد أبواب البرلمانات.. ولا نسمع إلا صوتاً واحداً.. هو صوت أجش كريه.. ينفث السموم، والأحقاد.. ينتهك الحرمات.. ويستبيح دماء الأبرياء.

●●●

.. والسؤال.. الذى يستمر فى دق الرؤوس بعنف:

وماذا نحن فاعلون.. مع أناس وضعوا لأنفسهم نظاماً داخل نظامنا.. وأقاموا مساجد بين مساجدنا.. وابتكروا مناهج للحياة تتسلل إلى مناهجنا.. خصوصاً وأنهم يعيشون معنا.. يخططون لاغتيال آمالنا، وأحلامنا..؟؟

إن مصر ـ ولا شك ـ .. مصر أم الحضارات لن تسمح أبداً بأن يتسلل إليها الخطر مهما كانت الظروف.. لاسيما وأنه ليس خطر الارهاب وحده.. لكنه أيضاً خطر الثقافة الضالة.. ومكمن الخطر أنه لم يعد يقتصر على مجرد تدمير الإنسان.. بل يمتد إلى تخريب الدين الإسلامى نفسه.. لذلك.. فنحن الذين ومضت قلوبنا بنور الايمان، وتفتحت عقولنا على أسمى حضارة عمت أرجاء الدنيا.. لن نسمح بحال.. أن يطفىء نور المسيرة.. صدأ الكسل، والخمول، والخوف.

●●●

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

إن المواجهة.. لابد أن تكون شاملة وعامة.. سعياً وراء هدف أساسى.. ينحصر فى الحفاظ على الديمقراطية، وحماية عقل إنسان مصر المستقبل.

هكذا.. يفكر حسنى مبارك

لم يفرق الرئيس حسنى مبارك أبدا بين مصرى، ومصرى.. فالجميع أبناء الوطن الذين يعتز بهم ويعتمد عليهم اعتمادا كاملا لتحقيق تقدمه، ورفع شأنه.

ولقد أكدت تجربة الأعوام الماضية.. أن حسنى مبارك - رئيس كل المصريين - .. لم يمنح ميزة لأحد أعضاء الحزب الوطنى على حساب آخر من أى حزب من أحزاب المعارضة.. فالمبادىء عند الرجل لا تتجزأ.. والوطنية بالنسبة له لا تقاس بنوعية التوجهات.. أو هوية المذاهب.

●●●

«نحن نرفع علما واحدا.. هو علم مصر القوة، والازدهار.. وطريق الأمل، والعمل مشرق ومضىء بكل الامكانيات التى نملكها تراثا وحضارة ووعيا.. وبكل الامكانيات التى تستحدثها عملاً متصلاً، وجهدا طاهرا، وارادة صلبة».

هكذا يفكر حسنى مبارك الذى لم يطرأ بذهنه يوما.. أن يكون العمل الوطنى قاصرا على فرد دون غيره.. لأن القوة التى يحرص عليها، والازدهار الذى يسعى إليه.. لا يمكن أن يتحققا إلا بتكاتف كل الأيدى، وتفاعل جميع العقول.

●●●

وحسنى مبارك.. مهما اختلفت معه فى الرأى.. فإنه لا يحاسبك على رأيك.. بالعكس.. انه يؤمن بأن تبادل الآراء يقود دائما إلى الأفضل.

ولقد أعلنت بعض أحزاب المعارضة أنها لن توافق على ترشيح الرئيس مبارك لفترة جديدة.. فماذا حدث..؟!

هل أمر الرئيس باطفاء أنوار هذا الحزب أو ذاك.. هل أصدر توجيها أو المح بصورة مباشرة أو غير مباشرة بتعطيل الصحف المتحدثة باسم الأحزاب التى قالت «لا».

هل طلب من أجهزة الأمن.. منع الاجتماعات الحزبية التى تعقد خصيصا من أجل اصدار قرارات الرفض..؟

لا.. لم يحدث شيء من هذا القبيل.. بل لقد حرص الرئيس على أن يلتقى بكل من رئيس حزب الوفد، وحزب التجمع، وحزب الأحرار.. حيث دارت بينه وبينهم حوارات مفيدة، ومناقشات مجدية.. كلها ولاشك تستهدف مصالح العزيزة مصر.

●●●

كلنا مصريون.. وكلنا مؤمنون

والايمان هو نبع المصرية الأصيلة على أرض مصر المباركة.. وبالايمان والعمل سوف نتعاون جميعاً.. على بناء الحياة الجديدة.. فى هذه المرحلة الجديدة».

وهكذا يفكر حسنى مبارك.

أنا قادر على التحدى . . إذن فأنا مصرى

حينما فكرت صحيفة «مايو» فى استطلاع رأى الجماهير حول انتخاب «حسنى مبارك» رئيسا لفترة جديدة.. حرصت على أن تلتقى بنماذج متباينة من المواطنين فى مختلف المواقع.. ومن مختلف الاتجاهات لأننا نؤمن مع الرئيس.. بأن الشعب هو وحده صاحب القرار.

وشعب مصر.. له مع «حسنى مبارك» تجربة مشرفة.. بيضاء.. نقر ونعترف جميعاً.. بأننا حققنا من خلالها نقلة حضارية بكل المقاييس.. حيث كان هم الرئيس وهمنا.. أن نحدد أهدافنا بالضبط.. نكون.. أو لا نكون..؟؟

●●●

«الاعتماد على النفس هو الأساس فى كل بناء.. ومصر كل المصريين قادرة على أن تتجاوز جميع العقبات.. هذا اليقين ليس نابعا من فراغ، ولا مجرد شعار.. ان بناة الأهرام هم الذين حفروا قناة السويس بأظافرهم.. هم الذين اقاموا السد العالى بارادة وطنية فاقت كل تصور.. وهم الذين أنشأوا أكبر قوة مسلحة على أحدث وسائل العصر بابتكارات مصرية خلاقة أضافها العقل المصرى إلى أكبر تطورات التكنولوجيا فى الدول العظمى.. وهم الذين يقيمون اليوم صناعات حربية متنوعة لأول مرة فى تاريخ المنطقة العربية.

ان الاعتماد على الذات هو الخطوة التى لا غنى عنها فى تحقيق كل انجاز.. ان الأيام لتضاعف ايماننا بهذا المبدأ وتمسكنا بترجمته إلى واقع ملموس.. يشارك كل منا

في خلقه بعمله، وعلمه، وفكره.. واعطاء القدوة لمسلكه، وتصرفه قبل أن يدعو الآخرين إلى الالتزام به والاستناد إليه».

●●●

هكذا يفكر القائد معنا بصوت عال.. والحمد لله.. اثبتنا وجودنا.. واحتفظت مصر بمكانتها العالمية.. واسترد المصريون في عصر مبارك كرامتهم التي اضطروا خلال حقبات زمنية ماضية إلى التخلي عن بعض أو جزء منها.. كارهين مرغمين..!

ارتفعت فوق أرضنا رايات القانون خفاقة عالية.. أصبحت الكلمة كلمته.. فلم يعد لفرد ميزة على أحد.. ولا يقدر إنسان ـ مهما كان جاهه، أو ماله، أو سلطانه ـ أن يعتدي على حرمات، وأموال، وممتلكات إنسان آخر.

●●●

نعم.. تعبنا.. واجتهدنا.. وعملنا.. وثابرنا.. وصبرنا.. فبدأنا نجني الثمار التي ستكون في المستقبل باذن الله وفضله.. طيبة.. طيبة.

لقد رسم مبارك المعالم بكل دقة.. ونحن ـ على الجانب الآخر ـ التزمنا بالسير معه في الاتجاه الصحيح.. ولم نخذله.. وهو لم يخلف معنا وعدا.. أو عهدا.. والله سبحانه وتعالى دائما.. مع القوم الصادقين..

●●●

ان شعب مصر الذي التقينا بنماذج عديدة منه.. يرى في حسني مبارك الأب، والأخ، والصديق، والإنسان.. ومن الذي يمكن أن يفرط في أبيه، أو أخيه.. والجميع قد صهرتهم بوتقة واحدة.. هي بوتقة الوفاء، والايثار، والأمل..؟؟ ما أسعد شعب مصر.. وهو يردد بكل الثقة، والايمان.. عبارة حسني مبارك التي لا تفارق ذهن كل واحد فينا:

«أنا حر.. إذن فأنا مصري».

حقا.. انها عبارة قصيرة.. لكنها تحمل معانى عديدة.. كلها تعكس حجم الطاقات الهائلة التى نتسلح بها.. بحيث نصل إلى آفاق الغد.. ونحن أشد قوة، وأصلب عزيمة.

●●●

ما أسعد شعب مصر.. وهو يردد بكل الفخر، والاعزاز.. عبارة حسنى مبارك: «أنا قادر على قهر التحدى.. إذن فأنا مصرى»..

لقد قهرنا به، ومعه تحديات كثيرة.. داخلية.. وخارجية.

أعدنا بناء الوطن من جديد.. فى شتى المجالات.. فى التعليم.. فى الإسكان.. فى الصحة.. فى البحث العلمى.. فى الزراعة.. فى الصناعة.

نحن نعترف أن ثمة مشاكل عديدة قد واجهتنا.. بل وسوف تواجهنا.. فتلك طبيعة الحياة.. ولا توجد منطقة على ظهر الكرة الأرضية بلا مشاكل.

●●●

رفعنا به ومعه صوت مصر عاليا.. أمام العالمين.. مصر الخير.. والسلام.. والمبدأ.. والقيمة.. فأصبحنا مثلا يحتذى، وقدوة يشار إليها بالبنان..

●●●

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

إذا كان القدر شاء أن يلتف الزعيم والشعب حول أهداف سامية تؤكد اعلاء إنسانية الإنسان.. فإن هذا يزيدنا ايمانا فوق إيمان.. بأن الصرح سوف يعلو.. ويعلو خلال السنوات القادمة.

لماذا نقول.. نعم

أعجبتنى عبارة قالها كمال الشاذلى الأمين العام المساعد للحزب خلال حديث دار بيننا.. أن من حقنا كأغلبية.. أن نوضح لماذا نقول «نعم» للرئيس مبارك لفترة رئاسة.. لاسيما أن الأقلية تزيد، وتعيد كل يوم.. فى «كلام فارغ».. دون أدنى قيود على اعتبار أن القرار للشعب أولا وأخيرا.

●●●

نحن نتحرك حزبيا بين صفوف الجماهير.. مؤكدين على أن استمرار حسنى مبارك رئيسا لمصر.. خير ضمان لكل فرد من أفراد هذا الشعب ليعيش آمنا.. مطمئنا على حاضره، ومستقبله، ومستقبل أبنائه.

لقد أرسى حسنى مبارك.. قواعد، وقيما، ومعانى كثيرة فى هذا المجتمع.. هى فى أمس الحاجة الآن.. لتزداد رسوخا وتوثقا.. حتى يكتب لها الله الاستمرار والدوام حتى يوم الدين.

●●●

ان الديمقراطية، والحرية تعلنان تمسكهما «بمبارك» إلى أن يشتد عودهما.. وتصبحا قادرتين على مواجهة العواصف والأنواء.. نفس الحال بالنسبة لسيادة القانون التى تجد فى الرجل القدوة والمثل.. تستمد منه قوتها.. وتنهل من نبع انتمائه العميق للمكان.. وجودها وكيانها.

●●●

بديهى.. أن «الأغلبية» هى التى تمثل الشعب بمختلف طوائفه، وفئاته.. لذلك.. فإنها تعلن كلمتها مدوية بلا مجاملة، أو نفاق، أو رياء رافعة سلاح الحقيقة.. ومتخذة من الموضوعية نبراساً وهاديا.

ان الأغلبية لا تخفى سعادتها.. بانفاق أكثر من ٩٠ مليار جنيه فى عمليات تجديد وانشاء البنية الأساسية من شبكات مياه، وكهرباء، وصرف صحى، وخطوط تليفونية، وطرق.. كما تعبر الأغلبية عن افتخارها البالغ بانفاق ١٢ مليارا فى أعمال التوسع الرأسى والأفقى فى الأراضى الزراعية وتنفيذ عشرات المشروعات لتنمية الموارد المائية وترشيد نظم الرى.

●●●

طبعا الأقلية لا يعجبها.. أن تتحسن مرافق الخدمات، وأن ترتفع رايات القانون، وأن تتسع رقعة الحرية، والديمقراطية يوما بعد يوم.. لأن مصالح الجماهير لا تعنيها من قريب أو من بعيد.. بل كل همها تشويه الصور المضيئة.. لكن من واجب الأغلبية.. التبصير، والتنوير، والدفاع عن مكاسبها بكل ما أوتيت من قوة.

●●●

ان الأغلبية ـ وهذا حقها ـ تطالب بتخفيض عجز الموازنة، واقتحام مشكلة البطالة اقتحاما جريئا من خلال حلول غير تقليدية.. وتحقيق التوازن بين الأجور، والأسعار، وتطوير التعليم بما يتمشى مع آفاق القرن الحادى والعشرين، والنهوض بالصحة العامة.. والأغلبية ـ لأنها متجردة عن الهوى، والغرض ـ ترى أن الاستقرار الكامل يساعد على تحقيقه مزيد من الديمقراطية، ومزيد من الحرية.. كما أنها تباهى أمام العالمين بأن برنامج الإصلاح الاقتصادى قد وضعه خبراء مصريون بفكر «مصرى» حر.

والأغلبية... بحكم خبرتها، وتجاربها ـ .. تؤمن تماماً.. بأن السياسة التى تنتهجها مصر فى تعاملها مع العالم الخارجى.. لها مردودات ايجابية متنوعة على الصعيد الداخلى.. لذلك.. وفى ضوء تلك الحقائق التى لا يستطيع أن ينكرها أحد.. تصر الأغلبية على استمرار حسنى مبارك رئيسا لمصر.

شعب يبنى ويعمر . . وقائد يؤمن مصالحه

حرص الرئيس مبارك على أن يفتتح مشروعاً قومياً عملاقاً.. فوق أرض مصر.. قبل بدء رحلة جديدة من رحلاته الهامة التى يسعى دوماً من خلالها «لتأمين» مصالح شعبه.. وتأكيد موقف أمته إزاء عدة قضايا أساسية وجوهرية.. أهمها قضايا السلام، والتنمية، وحقوق الإنسان فى كل زمان، ومكان.

●●●

فى إحدى المناطق الجماهيرية بقلب القاهرة وعند تلاقى شارعى ٢٦ يوليو والجمهورية.. تجمع الناس منذ الصباح الباكر.. بعد أن تسلل إلى أسماعهم.. نبأ حضور الرئيس مبارك فى تلك الساعة المبكرة من الصباح.

لقد أدرك المواطنون بمشاعرهم الذاتية البحتة.. أن حضور الرئيس إلى هذا المكان.. انما هو من أجل خيرهم، وخير أبنائهم، وأحفادهم.

●●●

البسمة تعلو الوجوه ـ كل الوجوه ـ .. الدفء يعم القلوب ـ كل القلوب ـ التفاؤل بالحاضر، والمستقبل.. بدا وكأنه بلا حدود.. بينما الرئيس يقترب من الموقع.. يحيى أبناء شعبه الذين يبادلونه تحية بتحية، وحبا بحب.. ثم يتجه ومعه سواعد الملايين، وعقولهم.. إلى قاعدة الانطلاق الضخمة التى هى صناعة مصرية مائة فى المائة.

●●●

دعـونا.. نرجع بعض سنوات إلى الوراء.. عندمـا كـانت الأسـرة المصـرية محرومـة من أبسط المقومات الأساسيـة.. من المياه، والكهرباء.. والهواء النظيف.. وعندما كان عائلها، أو ابنها يجد الأمرين فى الوصول إلى معهده، أو مدرسته، أو مكان عمله بسبب رداءة الطرق، وازدحام وسائل المواصلات.. وأيضا حينما جأرت أصواتنا جميعا بالشكوى.. من التليفونات «الخرساء» التى ترفض الاستجابة لأى نداء، أو استغاثة.

وقـتـئـذ.. وقف «حسنى مبـارك» بكل جـرأة، وشـجـاعـة يعلن على الملأ.. أن الظروف صـعبـة.. والعبء ثقيل.. مطالبـا مـواطنيـه بأن يضـعوا أياديهم فـى يديه، ويتحـدوا، ويتكاتفوا لإزالة آثار الماضى.. وبناء الحاضر والمستقبل على أسس وقواعد جديدة.

وقد كان..

مرت السنون، والشـهور، والأيام.. ليسـتـرد المواطن المصـرى حقـه فى الحيـاة العصرية ليتفرغ للعمل، والانتاج استعدادا لاقتحام القرن الجديد.

●●●

لقد وقـف الرئيس مبارك ـ ونحن معه ـ يتابع ثمار اصراره، وكده، وتعبه التى هى ـ والحق يقال ـ ثمار حلوة الطعم.. طيبة المذاق.

لعلنا جميعا نذكر.. أن الرئيس قد أعلن عند بداية تنفيذ المشروع العملاق.. أن الدولـة لن تبـخل بمال.. ولن تقـتـر، ولن تتـوقـف يومـاً لأى سـبب من الأسـبـاب.. وبالفـعل.. دارت العـجلة بأسـرع مـا يكون.. ليـتم افـتـتـاح المرحلة الجديدة من مـتـرو الأنفاق قبل موعدها المحدد.. وقبل الاحتفالات الرسمية بأعياد أكتوبر بأكثر من خمسة عشر يوماً.

●●●

إن الرئيس مـبـارك.. وهو يتـوجـه إلى مـوسكو ليلتـقى بالرئيس الروسى بوريس يلتسين.. وبنائب الرئيس الأمـريكى آل جور فإنما يحمل بيمينه.. انجازات شعب.. قادر.. قوى.. يملك أمضى الأسلحة، وأفضل أنواع الأدوات.

شهادة جديدة لمصر مبارك . . من صحافة العالم

قال المهندس الزراعي «محمد عبداللطيف».. صاحب محل عطارة، وأعشاب طبية في باب زويلة بالقاهرة إنه معجب جدا بهدوء الرئيس مبارك، وبإيمانه بالله سبحانه وتعالى.. وبتكريس كل جهوده من أجل شعبه الذى عاد ليبايعه من جديد بعد حادث أديس أبابا الغادر الذى لم يتأثر به الرئيس اطلاقا.. بل زاده إصرارا على اقتلاع جذور الارهاب..

يضيف «محمد عبداللطيف».. لقد قاد مبارك عملية السلام بنجاح، واقتدار.. وواجه «نتنياهو».. بأسلحة الحق، والمنطق، واليقين.. وبالتالى نجح فى تحديد مساحة غرور رئيس وزراء إسرائيل وصلفه، وكبريائه.

●●●

الحاج محمد عبدالمقصود صاحب محل «صغير» فى نفس الحى (باب زويلة): نحن فى مصر من أنصار السلام.. لذا فإننا نؤيد الرئيس مبارك فى كل خطواته التى تستهدف فى الأساس إقرار الحق، والعدل فى منطقة الشرق الأوسط.

نحن نؤمن.. بأن «السلام» يساعد على تحقيق التنمية ويزيد فرص الاستثمار.. الأمر الذى ينعكس تلقائيا على المواطنين.. كل المواطنين.

●●●

جلال حسن (صاحب محل عاديات بخان الخليلى) وحاصل على ليسانس آداب يقول:

الارث التى انتقل للرئيس مبارك كان ثقيلا للغاية.. لكنه استطاع بصبره، وحكمته، وطول باله.. أن يعبر بمصر للقرن الحادى والعشرين قبل حلول هذا القرن تاريخيا.. وإذا كان جمال عبد الناصر ينسب إليه فضل تأميم قناة السويس، ويعتبر السادات.. صانع السلام مع إسرائيل.. فإن الرئيس مبارك هو- بحق- بانى النهضة الحديثة فى مصر.. ويكفيه ويكفينا وادى النيل الجديد.

●●●

(الكاتب الصحفى محمد سيد أحمد): نحن جميعا نقدر التقدم الذى حققه الرئيس مبارك الذى يسير بخطى واثقة فى شتى المجالات.

●●●

عبد المنعم سيد علي: عندما تولى الرئيس مبارك زمام الأمور.. كانت مصر بعيدة عن العرب.. والعرب بعيدين عن مصر.. ثم سرعان ما عمل الرئيس على ترميم الجسور، ورتق الثقوب.. فعادت مصر تحتل مكانها المرموق تتقدم الصفوف وتؤكد القيمة والمعنى.. فعندما تفاقمت أزمة الخليج.. انعقد فوق أرض القاهرة.. أول قمة عربية ثم انعقدت قمة أخرى لوضع استراتيجية السلام بعد تولى بنيامين نتنياهو رئاسة الوزارة فى إسرائيل.

الكاتب الصحفى جمال الغيطانى الذى تعرض للاضطهاد فى عهد جمال عبدالناصر، وواجه صعوبات فى عصر السادات يقول:

إننى أؤيد وأساند الرئيس مبارك وأشعر أننى «حر» لأول مرة فى حياتى.. فها أنذا أكتب.. دون أن تتعرض كلماتى لأى قيد.

●●●

هذا ما نشرته صحيفة «الفيجارو» الفرنسية ضمن سلسلة من المقالات.. استطلعت فيها آراء نماذج متباينة من الناس.. وقد أنهت الصحيفة هذه السلسلة.. بأن مبارك من الرؤساء القلائل فى العالم الذين يتقبلون النقد بصدر رحب، كما أنه فتح أوسع أبواب الحرية والديمقراطية.. وهو الذى قاد معركة الاصلاح الاقتصادى بفهم، وشجاعة،

وحرص بالغ على مصالح أصحاب الدخل المحدود.. ولم يحدث أن ارتعدت القاهرة من الخوف (كما رأينا فى مجتمعات عديدة) لأنها لا تستطيع انتزاع اتفاق بإعادة جدولة الديون الخارجية من صندوق النقد الدولى.

بالعكس.. لقد بلغت الديون الخارجية عام ١٩٩٢ (٥٢ مليار دولار).. أما فى العام الماضى فقد وصلت إلى ٢٨٫٥ مليار.. كما انخفضت معدلات التضخم من ٣٠ إلى ٧٪.. فكانت النتيجة أن قام نادى باريس بالغاء أربعة مليارات «إضافية» من الدين المصرى.

إن كل تلك الأهداف «الممتازة» تمت فى هدوء بالغ.

●●●

وفي النهاية.. تبقى كلمة:

هذه شهادة جديدة لمصر.. من صحافة العالم.. التى لا يمكن طبعا.. أن تجامل، أو تتحيز.. رأيت أن أنشرها.. لكى نطمئن إلى أن صورتنا فى «العيون الخارجية».. مضيئة.. زاهية دائما.

لولاه.. ما كانت النهضة الكبرى

ما إن تحركت مصر.. تحركاً «مدروساً».. قائماً على العلم، والتخطيط، والخبرة.. حتى نشطت الدنيا بهذه الصورة التى نشاهدها بعيوننا.

وتلك فى الحقيقة سياسة مصر.. التى خلعت أردية «العشوائية»، والتخبط، وعدم حساب الأمور حساباً دقيقاً.. منذ زمن طويل.. فقد أقام الرئيس مبارك حكمه من بين ما أقام على التخطيط، والتخطيط السليم، وتقييم المواقف والأحداث تقييماً صحيحاً قوامه الموضوعية، والحق، والصدق مع النفس.

●●●

لولا هذا «التخطيط المدروس».. ما أعدنا تجديد، وإنشاء البنية الأساسية، وما أجرينا الإصلاح الاقتصادى الذى جذب انتباه العالمين، وما واجهنا الارهاب بذلك القدر من الشجاعة، والجرأة، وما تدفق علينا الاستثمار والمستثمرون، وما التفت الدنيا حولنا من أقصاها إلى أدناها مساندة، ومؤيدة، ومؤازرة.. وأيضاً ساعية للدعم، والنصيحة، وإقرار حقوق الإنسان.

●●●

من هنا.. عندما أدرك الرئيس مبارك بحسه السياسى المتميز.. أن مسيرة السلام تحتاج إلى تدخل حاسم يحميها من الانهيار.. حمل على الفور «سلاح العلم والتخطيط».. وأخذ يتعامل مع الموقف.. تلو الموقف.

دعا إلى مؤتمرات القمة المصغرة التى سرعان ما تحولت إلى «مؤتمر موسع» كبير داربت اجتماعاته فوق أرض القاهرة ومن خلاله أكد العرب تضامنهم، وتكاتفهم، وتمسكهم بالسلام وسيلة وغاية.

وفور.. أن فاز «بنيامين نتنياهو» فى انتخابات إسرائيل.. أعلن الرئيس استعداد مصر لاستقبال رئيس الوزراء الجديد.. فى وقت أراد فيه البعض «الابتعاد»..!

قالها الرئيس بكل وضوح:

فليأت إلينا.. نحاوره، ونستمع إليه، ويستمع إلينا.. حتى نستطيع أن نحكم عليه.

وبالفعل جاء نتنياهو للقاهرة.. ليعدل كثيرا من مواقفه.. أو على الأقل لم يجرؤ تحت سماء مصر.. أن يكرر تصريحاته الاستفزازية تجاه قضية المصير.

●●●

ثم.. ثم جاءت دعوة الرئيس كلينتون.. فأعد الرئيس مبارك «الأوراق» جيدا، واستعرض نتائج اللقاءات المصرية ـ الأمريكية السابقة.. وطار إلى واشنطن.. وفى ذهنه «ملف» كامل ملىء بالمعلومات، والتحليلات، والمقارنات.. وبالتالى.. استحوذ على عقل كل من التقى به، أو استمع إليه.. سواء من الساسة، أو من رجال الصحافة، أو الاذاعة، أو التليفزيون.. أو الرأى العام العالمى فى كل مكان.

●●●

اختصر الرئيس زمن الرحلة فى أقصر وقت ممكن وعاد بسلامة الله بعد ظهر يوم الجمعة ليبدأ مع صباح السبت اتصالاته، ولقاءاته رافعا ـ كعادته دائما ـ مشعل المتابعة، والتخطيط.

عقد الرئيس اجتماعاً مع مجلس الوزراء حيث أحاط أعضاءه بنتائج الرحلة الناجحة للولايات المتحدة الأمريكية.. فمصر ـ باعتراف الجميع ـ دولة مؤسسات.. كل مؤسسة لها مهامها ولها دورها الذى تؤديه وعلى هذا الأساس فتلك المؤسسات مطالبة بالمتابعة من جانبها وبالغوص فى أعماق كل «نقطة» تعرض لها الرئيس فى

مباحثاته مع أمريكا خصوصا وأن الادارة فى واشنطن حريصة على أن تشهد العلاقات مع مصر.. دفعة قوية خلال المرحلة القادمة.

●●●

على الجانب المقابل.. لقد طرح الرئيس فى واشنطن مبادرة جديدة من تلك المبادرات التى أثبتت التجارب والواقع العملى.. أنها جميعا ناجحة.. بل وهى «المرجع» الذى يعتمد عليه العالم اعتمادا كليا.. حتى ولو بعد سنوات، وسنوات.

إنها مبادرته الخاصة بإيجاد الصيغة الملائمة لمواجهة الارهاب دون إنزال العقاب بشعوب بأكملها.. فالرئيس مبارك يؤلمه أن يتعرض المواطن أينما كان لمعاناة ليس هو مسئولا عنها بحال من الأحوال.

وأيضا.. انطلاقا من مفهوم المتابعة، والتخطيط.. جاءت تكليفات الرئيس لمجموعات عمل محددة بإعداد الدراسات، وتقديم الأفكار، والتصورات.. لتبقى مصر دائما وأبدا باذن الله.. تحت زعامة مبارك.. الرائدة، والقادرة على الاقتحام، وصاحبة المبادىء التى لا تتغير، ولا تتبدل تحت وطأة أى ظرف من الظروف.

●●●

إن مصر.. فى عيون الشرق والغرب هى الحقيقة لا الخيال.. هى المستقبل.. وليس الماضى.. هى أمل ورجاء الشعوب المتطلعة إلى حياة أفضل دون تسلط، أو ضغط، أو هوى ذاتى.

مبارك.. يقود الصحوة العربية

مصر.. دولة قوية.. قادرة.. مستقرة اقتصاديا.. تبذل أقصى جهدها لترسيخ جذور السلام فى منطقة الشرق الأوسط.. ونشر مظلة الأمن، والوئام، والمحبة بين أبناء شعبها فوق كل بقعة من بقاع أرضها الفسيحة.

●●●

هكذا تُجمع الدنيا بعد الطفرة الهائلة التى حققتها فى الآونة الأخيرة والتى جاءت نتيجة جهد استغرق سنوات طويلة منذ أن أعلن حسنى مبارك.. أن همه الأول حماية مصالح المواطن المصرى فى الداخل والخارج.

لقد انطلق الرئيس.. يعمل، ويكد، لم يهدأ، ولم يمل، ولم يفقد الأمل يوماً.. رغم أن التركة كانت ثقيلة، والعبء كبير.

البداية جاءت فى موقعها الصحيح تماما من خلال إعادة تجديد البنية الأساسية من شبكات مياه، ومحطات كهرباء، وطرق، وخطوط تليفونات، وشبكات صرف صحى.. ولأول مرة.. شعر الإنسان المصرى.. بأن هناك من يحترم أدميته بعد أن افتقدها على مدى عقد من الزمان وأكثر.

●●●

ثم قضت توجيهات الرئيس مبارك بضرورة خفض معدلات التضخم، وتقليل نسبة العجز فى الموازنة العامة، ورفع معدلات النمو الاقتصادى.. ولأن الرئيس يتابع

كل شيء بدقة بالغة.. فقد تحققت النتائج كما أرادها.. بل وسوف تحمل الشهور القادمة معها المزيد، والمزيد.

●●●

ربما مازالت مشكلة البطالة تمثل عقبة فى طريق الانطلاقة المأمولة.. لكن لابد أن يكون واضحاً.. أن كل هذا الذى جرى ويجرى إنما استهدف أولا، وأخيرا.. اقتحام تلك المشكلة بالعلم، والتخطيط، والرؤية السليمة.

إنشاء المدن الجديدة، وتهيئة المناخ للاستثمار، وتشجيع إقامة المشروعات الصناعية، وقرارات الاعفاء الضريبى، والجمركى.. كل ذلك من أجل توفير فرص عمل «حقيقية» للشباب بمرتبات مجزية تعويضا عن الفتات الذى كانت تجود عليهم به وظائف «الميرى»..!

●●●

فى نفس الوقت.. رأت الحكومة الحالية.. أن تخاطب بنفسها المستثمرين فى الخارج.. فقررت تشكيل مجموعات عمل من رجال الأعمال، والوزراء يتولون الترويج لـ ١٠٠ مشروع عملاق فى الخارج.. يتم إقامتها على أرض مصر.. وسوف تبدأ مجموعات العمل هذه مهمتها خلال الأيام القادمة.. حيث يؤكد د. كمال الجنزورى رئيس الوزراء أن تلك الفكرة سوف تؤتى ثمارها الايجابية خلال فترة وجيزة.

●●●

على الجانب المقابل.. شهد منتصف عام ١٩٩٦ تحركات سياسية رفيعة المستوى.. بدأت باجتماع مؤتمر القمة العربى على أرض مصر بعد أن نجح الرئيس مبارك فى تنقية الأجواء وإعادة بناء الصرح الكبير على قواعد، وأسس جديدة، ومتينة معا.

ومنذ هذا اليوم.. والصحوة العربية أخذت تشق طريقها بقيادة الرئيس مبارك الذى اختاره الزعماء والقادة للتعبير عن مواقفهم.. فالتفت الدنيا كلها حوله.. مؤيدة، ومساندة، ومشجعة.

●●●

لقد عاد العرب.. ليؤكدوا حضارتهم التليدة.. بإعلان تمسكهم بالسلام والذود عنه.. وأثبتوا للجميع.. أن وحدتهم ليست عسيرة المنال.. بل هى وسيلة لتحقيق طموحات وآمال الشعوب التى يتمتع ابناؤها بطاقات، وإمكانات لا تتوفر لدى الكثيرين.

●●●

وفى النهاية.. تبقى كلمة :

ها هى المؤشرات تقول.. ان مصر تستقبل القرن الجديد بإذن الله وحولها الأخوة من المحيط إلى الخليج.. تعلى صيحات الحق.. وتحمى القيم، والمعانى.. وتضرب بعصاها البحر.. فيفيض خيرا، وسعادة على الأبناء، والبنات.

والفضل.. الفضل كل الفضل «للزّعيم» الذى ارتبط بشعبه برباط وثيق.. فكانت تلك العزة التى هى من عند الله مباركة.

مصر.. وسلاح التكنولوجيا

آمن الرئيس مبارك بحق الشعوب - كل الشعوب - فى الحصول على التكنولوجيا.. من هنا.. جاءت دعوته الدائمة، والمستمرة بضرورة إزالة «القيود» التى تقف حائلا بين الإنسان وبين رغبته، وحاجته فى الاستفادة بأرقى أساليب العلم.. الذى لا ينبغى أن يكون قاصرا على فرد دون غيره، أو جماعة على حساب أخرى.. لاسيما إذا توفرت الخبرات، والكفاءات، واتقدت جذوة العقول.

●●●

من هنا.. استلزمت «الانطلاقة الكبرى» التى فجر شرارتها الرئيس.. توفير قدر هائل من «تكنولوجيا العصر» فى شتى المجالات.. حتى تتمكن مصر بالفعل من اقتحام آفاق القرن الواحد والعشرين على أسس قوية، وراسخة تواجه بها التحديات وما أكثرها بطبيعة الحال.

●●●

لا جدال.. أن فكر الرئيس، قد انعكس بوضوح فى البيان الذى قدمته الحكومة لمجلس الشعب، والذى حرص فيه د. كمال الجنزورى رئيس الوزراء على تبيان حقيقة، وجدوى، ونوعية المفاتيح الأساسية لبوابة القرن الجديد.. وتلك بعض الأمثلة:

● فى مجال الزراعة.. أشار رئيس الوزراء إلى أن حكومته سوف تستخدم وسائل التقنية الحديثة بهدف زيادة إنتاج مختلف المحاصيل.. وكم سعدنا جميعاً عندما

عرفنا أننا سنحقق بإذن الله اكتفاء ذاتيا فى جميع المحاصيل.. ما عدا القمح الذى نصل قريبا إلى اكتفاء ذاتى منه بنسبة ٧٠ فى المائة.

نفس الحال فيما يتعلق بزيادة الإنتاج من محاصيل الحبوب، والبروتين الحيوانى

● فى مجال الموارد المائية التى أصبحت - على حد قول رئيس الوزراء - من أهم عناصر الصراع العالمى.. سوف يتم رفع كفاءة استخدام هذه الموارد وزيادتها، وتنميتها أيضا عن طريق الاستعانة بأفضل الآلات، والأدوات والتى يتم تصنيع العديد منها داخل مصر، وليس خارجها.

● بالنسبة للصناعة.. ذكر رئيس الوزراء بالحرف الواحد.. أن حكومته تسعى إلى تحقيق الرقى التكنولوجى الذى يشمل جميع صناعاتنا من خلال الاهتمام بإنشاء، وتطوير المراكز المتخصصة، وربطها بأجهزة البحث العلمى، فضلا عن انشاء وحدات ارشادية للتكنولوجيا.

●●●

باختصار.. يمكن القول إن «النهضة المأمولة».. لن تعتمد على الحدس، والتخمين، والعشوائية.. ولا على التكاسل والتخاذل، والسلبية.. بل إن سلاحها المعرفة، والعلم، وآخر المبتكرات والمخترعات.. وهذا ما حرص الرئيس مبارك على التأكيد عليه منذ سنوات عدة.

●●●

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

لاجدال.. أن حكومة الحزب الوطنى - حكومة الأغلبية - التى تضع الخطط، والاستراتيجيات واضعة فى اعتبارها الأول، والأساسى.. المواطن المصرى.. فإن تلك الحكومة ترحب بجهود، وفكر، ومساندة باقى الأحزاب الأخرى.. فالهدف واحد، والمصير مشترك.. ومصر كانت وستبقى بالنسبة لكل القوى والتيارات فى العين والقلب والعقل إلى يوم الدين.

حبًا بحب . . ووفاء بوفاء

فلنرفع كلنا الرايات منذ الصباح.. ولنضىء الشموع فى المساء.. ولندع أياديناً تتصافح مع بعضها البعض بحرارة، ودفء.. فيوم عيد ميلاد «الزعيم».. هو عيد ميلاد الأب، والشقيق.. عيد ميلاد ابن مصر «الغالى».. الذى بادلناه حباً بحب، ومودة بمودة، وحميمية بحميمية.

●●●

إن العائلة المصرية.. حينما تقول لـ «حسنى مبارك».. كل سنة وأنت طيب.. الـ ٦٣ مليوناً إنما يدعون الله سبحانه وتعالى.. أن يمنحه الصحة.. وأن يكلأه برعايته، وفضله.. لكى يظل دائماً حامياً لإرادتنا، وحافظاً لوحدتنا، وأمننا، واستقرارنا، ومحققاً لرغباتنا، وطموحاتنا.

●●●

لقد ضرب «حسنى مبارك».. المثل فى إجادة العمل.. فنراه يومياً يعمل بكد، واجتهاد، ونشاط.. يواصل الليل بالنهار.. من أجل بناء قواعد النهضة المصرية الحديثة التى ستبقى إلى الأبد ـ بإذن الله ـ عنواناً لعزيمة أمة، وتحديات وطن.

وقدم حسني مبارك.. أروع نماذج «الوفاء».. فلم يفرط فى قيمة، أو معنى، أو مبدأ.. بل هو دائماً مضمد للجراح.. مهدىء للخواطر.. ملبٍّ لنداءات المظلوم، والعليل، والسقيم.

●●●

ونجح حسني مبارك فى اقتحام الصعب.. ليؤكد للعالمين.. أن الإنسان المصرى قادر على تحويل المستحيل إلى ممكن دون ضجة، وبلا مزايدات، ومن غير دعايات رخيصة.. ولعل من أهم سماته.. أنه يخطو كل خطوة بحساب.. لا ينفعل، ولا يهتز، ولا يفقد أعصابه.. فجاءت النتائج تحمل معها بشائر الخير، والرفاهية.

●●●

فى نفس الوقت.. عوّدنا حسنى مبارك على ألا نفقد الأمل يوماً.. فطالما الحياة تتجدد مع إشراقة كل صباح.. لابد أن نتفاءل، وأن نبتسم، وأن نحلم.

على الجانب المقابل.. لقد حرص الزعيم على أن تكون الجسور ممتدة.. والخطوط مباشرة بين الحاكم، والمحكومين.. وخير شاهد وأبلغ دليل.. أنه يقرأ رسائلك التى تبعثها له بتأن وإمعان.. ويتابع نشاطاتك فى مختلف المجالات.. ويقف بجانبك إذا أصابك طارىء - لا قدر الله - لأنه.. وأنت - كما يؤكد دوماً - كيان واحد.. ونسيج لا ينفصل ولن ينفصل بإذن رب العالمين.

●●●

إنه «حسنى مبارك» الإنسان.. الذى نجد سعادتنا فى أن نقدم له «وردة» عرفاناً، وحباً، ووفاءً.. فالسمات الشخصية التى يتمتع بها.. جمعتنا وإياه فى بوتقة واحدة.. تلاحمت بداخلها كل الأيدى، وتفاعلت كافة العقول، وانصهرت المشاعر الرائقة الصافية.

●●●

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

إن ما قدمه حسنى مبارك لمصر.. كثير، وكثير.. فالتاريخ يسجل.. والمكان يشهد.. والإنسان يقر ويعترف.. ويعتز ويفخر.

من هنا.. فقد اكتفيت يوم عيد ميلاد الرئيس.. بأن أركز على الجانب «الإنسانى».. فربما ننجح إلى حد ما فى أن نشده ولو قليلاً.. عن عناء المسئوليات الجسام، والمهام الشاقة.

.. و.. و.. كل سنة وأنت طيب يا ريس.. وها هى أيادينا جميعاً مع يديك.. نقطع سوياً ومعاً «التورتة» المتواضعة لأننا نعرف مدى بساطتك، وقناعتك.

كلمة الجماهير... الحكم والفيصل

الحرية.. حرية.. وهى أبداً لا تتجزأ.

والديمقراطية.. افضل غذاء للشعوب الواعدة.. الناهضة.. التى تشكل الأحاسيس عند أبنائها رصيداً هائلاً، وأبعاداً ضخمة.

والحزبية ـ بمعناها الواسع والشامل ـ .. موقف.. وحقيقة.. وأمل.. وتفاؤل.. وحماية لمصالح الوطن، والمواطنين.

وأمس.. حقق الحزب الوطنى نجاحا ساحقا فى انتخابات مجلس الشورى.. هذا النجاح جاء عن جدارة وثقة.. لأن الجماهير هى التى قالت رأيها دون ضغط.. وبلا تدخل فى إرادتها.

●●●

لقد سبق أن أعلن الحزب الوطنى.. ترحيبه بكافة أحزاب المعارضة لكى يخوض مرشحوها.. الانتخابات جنباً إلى جنب مع ممثلينا فى جميع الدوائر..!

ولكن لأن بعض الأحزاب لاتقدر على المنافسة.. وتعرف جيدا حقيقة مواقعها على الساحة.. فضلا عن رأى الناس.. فقد آثرت الانسحاب منذ البداية.. تحت دعاوى باطلة.. وأوهام لا أساس لها.

●●●

ها هى الانتخابات.. قد انتهت.. وهاهم ممثلو الشعب الحقيقيون من رجال الحزب الوطنى.. يفوزون بغالبية المقاعد.. ولا جدال أن اختيارهم لم يأت من فراغ.. بل استنادا إلى حقائق مهمة، وملموسة، وأساسية.. لعل أهمها.. ارتباطهم الوثيق بالقاعدة.. وقناعتهم بالدور الذى يؤدونه.. وحرصهم على أن تبقى رايات الحق، والعدل، وسيادة القانون خفاقة دوما على أرض الوطن العزيز.. وتلك ولاشك رسالة الحزب الوطنى الذى لا يفرق أبدا بين مؤيد، ومعارض.. أو بين مسلم، ومسيحى.. إذ يكفى أن رئيس الحزب.. هو رئيس كل المصريين بلا استثناء.

●●●

على الجانب المقابل.. نحن نتحدى أن تكون «الادارة» قد تدخلت لصالح مرشح بالذات دون غيره.. بل إن الصفحة بيضاء ناصعة خالية من أى سوء.. ولقد اتضحت النوايا الحسنة قبل إجراء الانتخابات.. عندما صدر قرار بعدم إنشاء لجان فى مراكز وأقسام ونقط الشرطة.. درءا للشبهات.. وعملا بالأحوط.

●●●

وفى النهاية تبقى كلمة:

إن مجلس الشورى.. الذى يعد مجلس حكماء الأمة.. لم يترك قضية واحدة من القضايا الجماهيرية إلا وتصدى لها بالدراسة المتأنية، والبحث المستفيض، والرأى السديد.. فهذا المجلس.. الذى يضم صفوة رجالات مصر كان دائما فى المقدمة.. ينير الطريق.. وينسج خيوط الأمل.. ويبنى قواعد، وأسس النهضة المرتقبة.

●●●

إن الأعضاء الجدد.. الذين افرزتهم الانتخابات النزيهة، والنظيفة.. إنما هم اضافة حقيقة لمجلس الشورى.. وسوف يشاركون مع زملائهم القدامى بإذن الله.. فى ترسيخ أغلى المعانى، وأحلى القيم.. وفى الحفاظ على هواء مصر.. ليكون نقياً.. نظيفاً تستنشقه الجماهير.. بإعزاز ورضا، ومحبة.

مبارك يحمى... وكلينتون ينصح

حظى اتفاق السلام بين أيرلندا الشمالية، وبريطانيا.. بتقدير دولى.. لأنه استهدف إنهاء صراع سنوات طويلة دفع خلالها الإنسان.. ثمنا غاليا..!

طبعا.. لقد أقر الطرفان بعد توقيع الاتفاق.. بأن الطريق مازال شاقا، وصعبا.. على اعتبار أن كليهما لم يحصل على كافة ما يريد.. بل لقد كانت التنازلات متبادلة.. ولولا ذلك مالاحت فى الافق بشائر السلام.

●●●

طالب الرئيس الأمريكى بيل كلينتون.. الأطراف المعنية فى الشرق الأوسط بأن يسيروا على نهج الأيرلنديين والبريطانيين ويتخذوا الإجراءات الكفيلة بتحقيق السلام وأن يتحملوا فى سبيل ذلك ما شاء لهم القدر أن يتحملوه.

ونحن نؤيد الرئيس كلينتون فيما ذهب إليه.. بعد أن أثبتت التجربة العملية كل يوم.. أن الحوار هو الذى يقود إلى السلام.. وأن المفاوضات المباشرة سوف تبقى دائما وأبدا.. القاعدة الأساسية لتحقيق الأمن، والاستقرار.

●●●

إن موقف مصر واضح منذ البداية.

وها هو ذا الرئيس مبارك يعلن ويؤكد.. أن السلام هو المفتاح الرئيسى لعمليات التنمية فى الشرق الاوسط.. التى توقفت على مدى خمسين عاما من الزمان بسبب استنزاف الجهد والمال والوقت فيما لا يفيد.

الرئيس مبارك يرى أن الحرب لا تحسم قضية.. بل إنها تبدد الثروات المادية، والبشرية.. لذا.. فإنه دائما يذود عن السلام ويدافع عنه بكل ما أوتى من قوة .. وحينما تتعرض سفينته للأنواء والأعاصير.. فإن الرئيس أول من يبادر لانقاذها.

من هنا.. تجئ اتصالات مصر المستمرة مع كل من الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل من جانب.. وفلسطين وسوريا ولبنان والأردن من جانب اخر من أجل تقريب وجهات النظر.. فإذا كانت إسرائيل تريد الأمن.. فلتعد الأرض لأصحابها.. بحيث يتفرغ الجميع لبناء مجتمعاتهم وفقا لأسس جديدة وبنوايا صادقة وصافية.

ورغم أن بنيامين نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل يصر على اتباع سياسة العسف، والتعنت وعدم إبداء أى قدر من المرونة.. إلا أن مصر بالذات لم تفقد الأمل.. لأنها تؤمن بحقيقة ثابتة واحدة تقول.. «المستقبل لا يمكن أبدا أن تصنعه أياد مضرجة بالدماء».. كما توقن القاهرة تمام اليقين.. بأن بديل السلام.. رهيب، ومرعب.

●●●

على الجانب المقابل.. فنحن ندرك جيدا بأن القضية الفلسطينية هى لب النزاع فى الشرق الأوسط.. وبالتالى نحرص أبلغ الحرص على أن يحصل الفلسطينيون على حقوقهم المشروعة.. وأن يقيموا دولتهم المستقلة على أراضيهم.

●●●

إن مصر موقف.. ومبدأ.. مصر ترسم بفكرها الراقى ملامح الغد الذى يجب أن يكون باسما.. يانعا.. مزدهرا.. تحوطه قلاع الاستقرار من كل جانب.. وتحميه مظلات الاستقرار، والأمن والحرية.

اين مصر الآن . . . وماذا كانت؟

التزمت الدولة أمام الجماهير بعدم فرض أعباء جديدة لاسيما بالنسبة لمحدودى الدخل.. حيث يؤكد الرئيس مبارك - مهندس الإصلاح الاقتصادى وراعى مسيرته - أنه قد حان الوقت لجنى ثمار هذا الإصلاح.

فى نفس الوقت.. عملت الحكومة على ترشيد إنفاقها وخفض مصروفاتها ضاربة بنفسها القدوة والمثل.. ثم استمرت تدعم الاستثمار، والمستثمرين، وتشجع إقامة المشروعات الصغيرة، والكبيرة على أرض الوطن.. فكانت النتيجة أن انخفض عجز الموازنة العامة، ومعه معدلات التضخم.. لترتفع على الوجه المقابل نسبة النمو.

●●●

الآن.. كل ما أطلبه أن نعود بذاكرتنا قليلاً إلى الوراء.

أين نحن اليوم من زمن.. كان ابناء القرية يتلهفون فيه على كيلو سكر أو كيلو دقيق.. بينما اخوانهم فى المدينة يقفون فى طوابير طويلة للحصول على جزء من احتياجاتهم من اللحوم..؟

●●●

لقد توفرت جميع السلع فى الأسواق بلا استثناء.. وأصبح المواطن لديه القدرة على شراء ما يريد.. لأسباب عديدة.. لعل أهمها استقرار الأسعار فضلا عن زيادة المرتبات عاما بعد عام...!

نعم.. ربما تكون المشكلة التى مازالت تعترضنا بعنف هى مشكلة البطالة.. لكن هاهى العجلة قد بدأت تدور بخروج المشروعات العملاقة فى توشكى، وشرق التفريعة، وشرق العوينات إلى النور، وهى مشروعات تستوعب مئات الألوف من العاملين.. ولعل ذلك ما فكرت فيه الدولة، وخططت له منذ سنوات عدة.

●●●

إن عدد موظفى الحكومة فى مصر.. أكثر من الحاجة أضعافا، وأضعافا.. بل لا يوجد مجتمع فى الدنيا يضم مثل هذا الكم الهائل..!

من هنا... ارتأت الدولة أن أى زيادة جديدة سوف تعقد المشكلة ولن تحلها.. إذ يكفى أن تظل المرتبات تستهلك جزءا كبيرا من مواردنا فيما لا يفيد..!

لذا.. تراجع كثيرا، أو شبه تجمد.. ما سمى بنظام «القوى العاملة».. ليبدأ الخريجون من جانبهم فى اقتحام مجالات أخرى جديدة من شأنها شحذ الهمم وخلق مجالات أفضل للمنافسة تساعد على الإبداع والابتكار.. بدلا من التكاسل، والخمول.

●●●

طبعا.. نحن لا ننكر أن كلا من صندوق النقد الدولى، والبنك الدولى للإنشاء والتعمير قد ساندانا فى ظروف معينة.. لكننا ـ أحقاقا للحق ـ لم نخضع لروشتاتهما، وتعليماتهما خضوعا مطلقا كما حدث مع غيرنا.. بل حرص الرئيس مبارك على أن يعلن دوما.. أننا مجتمع يراعى البعد الاجتماعى.. كما رفض بإصرار ما بعده إصرار.. اقتراح الصندوق بخفض قيمة الجنيه المصرى.. لتتأكد فى النهاية نظرته الثاقبة، ورؤيته السديدة، وحكمته البالغة.

لاصوت يعلو.. على صوت الحق

مصر ضد التطرف بشتى ألوانه وأشكاله.. التطرف فى القول، والفعل.. والسياسة والاقتصاد و.. و.. و.. وأيضا الدين.

ومصر ترفض تماما.. أى محاولة من جانب «الأقلية» لفرض رأيها على الأغلبية بغير حق، أو منطق.

من هنا.. فإن مصر تدعو دائما إلى الاعتدال، والوسطية.. تساند، وتدعم الحرية «المسئولة».. بحيث لا تصطدم مصالح الناس بعضها ببعض.. وتظل كرامة الفرد والمجتمع مصانة محتفظة بمعانيها ودلالاتها.

●●●

هانحن نرى الرئيس مبارك يضرب القدوة، والمثل فى اليوم الواحد مرات ومرات.. إذا تحدث فإنه يوجه حديثه من القلب إلى قلوب الملايين، وعقولهم.. فى رقة وحلم.. لا يعتدى على أحد باللفظ إيمانا منه.. بأن تبادل الحملات الكلامية يضر أكثر مما يفيد.. نفس الحال.. تأتى أعماله لتعكس آمال، وطموحات المصريين.. كل المصريين بصرف النظر عن انتماءاتهم، وهوياتهم، ومذاهبهم.

.. وعندما بدأت مصر فى تطبيق إجراءات الإصلاح الاقتصادى.. أصر الرئيس مبارك على ضرورة مراعاة «البعد الاجتماعى».. حتى تحقق نتائج الإصلاح توازنا

عـادلا بين الأثرياء والفقراء.. بين من يحققون أرباحا طائلة وبين أصحـاب الدخـول المحدودة.. وتلك ـ بكل المقاييس ـ قمة الوسطية.

●●●

هكذا.. فإنه أمر طبيعى أن تواجـه مصر التطرف الدينى بصرف النظر عمن يمارسونه.. مسلمين، أو أقباطا أو يهودا.

إن «الإسلام».. هو دين السماحة، والتعاطف الوجدانى بين البشر.. إنه الذى يحض على الخير، والابتعاد عن الشر.. دين الرحمة، والموعظة الحسنة.. وبالتالى من يرد الإنحـراف به عن مساره الصحيح.. فلابد أنه يضمر فى أعماقه شرا للإسلام، والمسلمين.. ولعل أبلغ دليل.. قيام بعض العناصر «الشاذة» باغتيال أمن أخوانهم، وذويهم والإقدام على سفك الدماء دون وازع من ضمير، أو من أخلاق.

لذا.. لم تتردد مصر.. فى آن تقف بشجاعة وجرأة أمام دعاوى الزيف، والضلال.. تدحض حججهم، وتسقط اقنعتهم الزائفة حتى يكون الفجر.. فجرا إلى يوم الدين.

●●●

استنادا إلى نفس المفاهيم... فإن اقباط مصر لا يرضون من قريب أو من بعيد على «المتطرفين من المسيحيين».. الذين يتصورون أنهم قادرون على تشويه سمعة بلادهم فى المهجر بغير سند، أو برهان.

إن اقبـاط مصـر.. يقولون لأفراد تلك الفئـة المتطرفة: أبداً.. أنتم لستم منا.. لأن «المسيحية» أيضا دين تسامح، ومودة، وشفقة ومن يتعمد الإضرار بالوطن الذى احتضنت سماؤه الأقباط منذ عدة آلاف من السنين.. متعمدا الإساءة إلى ترابه.. ساعيا إلى شق وحدة صفه.. إنما هو عابث.. فاسد.. مسئوليتنا جميعا أن ننبذه، وأن نمحوه من قاموس حياتنا.

●●●

أما اليهود «المتطرفون».. فهم من ذات الفصيلة.. حيث لا يبغون سلاما، ولا يتمنون استقراراً.. يقحمون أنفسهم فيما ليس لهم دخل فيه.. بالضبط.. مثل يهود مجلس النواب

الأمريكى الذين تحالفوا مع المتطرفين من المسيحيين المصريين.. ليفبركوا «الروايات»، ويروجوا الادعاءات الكاذبة، وينشروا الأراجيف التى ما أنزل الله بها من سلطان.

●●●

وفى النهاية... تبقى كلمة:

نعم لا صوت يعلو على صوت الحق.. ولا مكان فى عالم الاسوياء إلا لمن آمنوا بالله وبرسله وبالملائكة واليوم الآخر إيمانا صادقا لاتشوبه شائبة.. ولا رفعة ولاشأن للمزورين، والمخادعين، والمنافقين.. وبالتالى لم يكن هناك بد من أن تتهاوى نزعات العصيان وما تحمله من تطرف أحمق بغيض.

وعشت ياشعب مصر رافعا ألوية الهدى واليقين عبر العصور والأزمان.

سياسة نظيفة = اقتصاد قوى

نجحت مصر ببراعة منقطعة النظير فى ربط السياسة بالاقتصاد من خلال جسور متينة، وخيوط قوية.. فانعكس ذلك تلقائيا على حياة جماهير المواطنين.. وعلى علاقاتنا بالعالم.

●●●

منذ اليوم الأول لتوليه زمام القيادة.. أعلن الرئيس مبارك أنه حريص على مديد الصداقة مع الآخرين مؤكدا أنه لن يتبع سوى سياسة نظيفة لا تشوبها شائبة.. ثم سرعان ما أثبتت التجربة تلو التجربة صدق توجهات مبارك.. فلم يحدث مرة واحدة.. أن تدخلت مصر فى شئون الغير.. أو تخلت عن دولة صديقة، أو غير صديقة خلال أزمة من الأزمات.

لقد رفعت دوما شعارا واحدا ثابتا: «نحن ضد التدخل فى شئون الآخرين».... فى نفس الوقت الذى وقفت فيه بجانب الحق، والعدل فى أى مكان يكون بصرف النظر عن التوجهات، أو المواقع، أو المواقف السابقة.

●●●

من هنا.. أقبل الجميع عليها.. يجرون الاتصالات، ويوقعون الاتفاقات، ويقيمون.. قواعد مشتركة للعالم الجديد.. ولعل هذا ما جعل صوت مصر قويا.. مدويا.. لأنه لا ينطق عن هوى مهما كانت الأسباب، والمبررات.

●●●

كانت النتيجة الطبيعية ـ ولاشك ـ أن تغيرت أوضاع وتبدلت توجهات، وفشلت مؤامرات، وأنقذت شعوب من هلاك محتوم، وتحققت مصالح بشر.. لأن مصر حرصت فى كل مرة على أن تنهج النهج الصحيح.. فينحاز إليها كل من أمن بمبادئها ومن أيقن أن الحق حق لابد من اتباعه

●●●

فى نفس الوقت.. راعى الرئيس مبارك فى معاملاته الدولية.. ألا ينظر للصغائر، والجزئيات.. بل طالما وجدناه يعبر بإباء وشمم إلى الآفاق الرحبة والواسعة.. يرفض أن يشغل باله، أو يضيع وقته.. مع فكر ضيق.. أو عقل جامد متحجر.. أو تصرف غير مسئول.. أو سلوك ينم عن إغراض ذاتى.

لذا.. عندما دعا المستثمرين لكى يأتوا إلى مصر.. لم يتردد أحد.. بل جاءونا من الشرق والغرب.. يقيمون المصانع ويستزرعون الأرض، وينشئون محطات المياه، والكهرباء، ويوفرون فرص العمل للشباب.. لترتفع بالتالى معدلات النمو إلى ٥ فى المائة سنويا وتنخفض معدلات التضخم ويقل العجز فى الموازنة العامة بنسبة غير مسبوقة فى تاريخ مصر.

●●●

لقد وضع الرئيس مبارك فى اعتباره.. عندما بدأ فى إجراء الإصلاح الاقتصادى.. أن مصر ليست منعزلة عن العالم.. بل هى واحدة من خلاياه التى تؤثر كل منها فى الأخرى وتتأثر بها.. وذلك دون إخلال بمجموعة «ثوابت» لا تقبل المناقشة والجدل.. لأنها وثيقة الصلة بعادات وتقاليد متوارثة، وقيم تليدة، وأخلاقيات لا يمكن الحيدة عنها بأى حال من الأحوال.

ولعل هذا .. ما أتاح لنا الفرصة لمتابعة تجارب الآخرين عن كثب والاستفادة من أخطائهم تلافيا للوقوع فى المحظور مثلهم مع التأكيد دوما .. بأن خبراتنا، وكوادرنا

ليست ملكا لنا فحسب.. بل نحن على أتم الاستعداد لكى نعبر بها الحدود.. حرصا منا على خير، ورفاهية الإنسان فى أى مكان يكون.

●●●

وفى النهاية . . تبقى كلمة:

ما أسعدنا ونحن نرى صندوق النقد الدولى وهو يشيد بين كل فترة وأخرى بمتانة اقتصاد مصر... وما أجمل أن تصبح تجربتنا المتميزة محورا لدراسة تقوم بها جامعة مثل هارفارد الأمريكية تعلن بعدها أنها تجربة استندت إلى العلم، والمعرفة، والرؤى السديدة والحكمة، والحنكة معا.

إن هذه الأعلام التى تخفق فوق ربوعنا.. خير شاهد، وأبلغ دليل.. على أن سياستنا النظيفة التى تبناها، وحمل لواءها حسنى مبارك.. نالت الإعجاب، والتقدير.. فأصبحنا القدوة التى تحتذى بين العالمين.

حمدا لله وشكرا له.

سؤال يطرحه مبارك يوميا:
ماذا فعلتم... للشباب؟!

الدولة تبذل أقصى ما فى جهدها من أجل توفير حياة آمنة مستقرة خالية من المشاكل إلى حد ما للشباب.

لذا.. فإنها تخصص فى ميزانياتها العامة اعتمادات مالية كبيرة لإنشاء المدن والمصانع الجديدة بهدف توفير فرص العمل.. فضلا عن تشجيعها الدائم للاستثمار والمستثمرين لكى يجد أبناؤنا فى المشروعات الجديدة التى تقام على أرض مصر نوافذ يطلون منها لإثبات قدراتهم وإمكاناتهم.

●●●

إن الأسئلة التى يطرحها الرئيس مبارك فى اليوم عدة مرات على المسئولين بمختلف مستوياتهم:

- ماذا فعلتم للشباب.. وما نصيبهم من هذا المشروع أو ذاك.. وهل وضعتم فى اعتباركم كافة احتمالات المستقبل بحيث نتلافى ثغرات الماضى..؟؟

●●●

على الجانب المقابل.. فإن الرئيس مبارك حريص على الاستماع للشباب وعلى إجراء حوارات مباشرة معهم دون أى وساطات ليتعرف بنفسه على ما يجيش داخل صدورهم.. وعلى ما يعترضهم من مشاكل.. ولعل ذلك سر تلبيته السريعة للقاء الأبناء والبنات فى حلوان.. فقد تم تحديد الموعد خلال فترة وجيزة للغاية.. وذهب الرئيس

للشباب وكم كانت سعادته وسعادتهم بالغة.. لأن الاطمئنان عندما يعم النفوس.. يصبح الواقع أكثر يسرا بصرف النظر عن أية عوامل أخرى.

●●●

قام الرئيس مبارك بافتتاح معرض الشباب الذى يضم منتجاتهم كدليل عملى على أن الصانع الصغير أو المصدر الصغير لم يعد ضربا من ضروب الخيال.. بل سوف يحقق الانطلاقة المأمولة خلال أقصر مدة زمنية ممكنة.

●●●

أيضا... لقد آثر الرئيس ـ تكريما لأبطالنا الشباب الذين فازوا ببطولة الأمم الأفريقية ـ أن يستقبلهم فى المطار عند عودتهم تأكيدا على أن مصر تبادل بنيها العطاء بالعطاء وتسبغ عليهم دائما مظلة الحب والوفاء والتفاؤل.. فما بالنا إذا كانوا من الشباب..؟؟

أنا شخصيا أتصور أن أعضاء فريقنا القومى لكرة القدم بعد هذا التكريم «الزائد» من جانب رئيس الدولة ومعه كل طوائف المجتمع سوف يتشبثون دائما وأبدا بالنصر المبين.. بل سيبذلون أقصى الجهد لانتزاع مزيد من البطولات حتى يفخروا ونفخر دوما بأنهم مصريون لحما ودما.. مصريون ماضيا وحاضرا ومستقبلا.. مصريون تعودوا على صناعة المجد من قديم الأزل.

امضى . الأسلحة

تبنت مصر منذ عدة سنوات مضت الدعوة إلى نبذ الخلافات العربية ـ العربية بهدف إقامة صرح متين من التآلف، والتآزر، والتكاتف يمكن أن يقود إلى شكل من أشكال الوحدة السياسية .. أو الاقتصادية .. قوامها الحق، والعدل، وتكافؤ الفرص.

ويشهد الله . أن دعوة مصر سارت فى طريقها الصحيح الذى أضاءته مشاعل النهضة العربية الكبرى المرتقبة .. إلى أن جاء صدام حسين وغزا العراق يوم ٢ أغسطس عام ١٩٩٠ فانقلبت الأوضاع رأسا على عقب .. وساد الظلام أرض الأنبياء .. وعمت الدهشة القلوب، والعقول ومنذ ذلك اليوم الكئيب .. لم يبزغ فجر الحلم، ولم يجرؤ الأمل على أن يطل برأسه من وراء الأسوار.

•••

رغم ذلك .. لم تصمت مصر .. بل استمرت تعلى صيحتها يوما بعد يوم .. إلى أن نجحت فى عقد مؤتمر للقمة العربية .. فوق أرضها .. ساعد إلى حد كبير على التئام الجروح، وسد العديد من الثغرات.

ثم .. ثم .. ثم تحين الرئيس مبارك الوقت المناسب .. لينادى بانشاء السوق العربية المشتركة نظرا لإيمان الرئيس بأن السياسة، والاقتصاد صنوان .. وأن الكيان الاقتصادى إذا اكتملت أركانه فسوف يصبح القرار السياسى على مستوى العالم مؤثرا يحسب له ألف حساب.

•••

من هنا.. اسمحوا لى أن أطرح سؤالين هامين:

● الأول: تُرى.. لو أن صدام حسين لم يقم بغزو الكويت عام ١٩٩٠ هل كان الموقف سيصير مختلفا..؟

الإجابة باختصار:

نعم.. وألف نعم.. فقد تسببت فعلته الشنعاء فى تمزيق الخيوط وفى فقدان الثقة بين الجار والجار، وبين الأخ وأخيه.. وفى نشر موجة من الاحباط المادى، والمعنوى بين جيل كامل من البشر.. وبالتالى بات الحديث عن أى لون من ألوان التقارب.. ضربا من ضروب المستحيلات.

● الثانى: لو قامت السوق العربية بمشاركة الجميع.. هل كانت تستطيع وقتئذ منع الأخطار التى تهدد «وطنا» غاليا عزيزا على قلوبنا جميعا.

الإجابة أيضا.. نعم.. لأن السوق العربية تعنى تجميع الموارد، والثروات.. ولا جدال أنه حينما تتجمع الموارد، والثروات.. فى كيان واحد. لابد أن يفكر أصحاب المصلحة بأسلوب مغاير.. وبديهى «أمريكا» صاحبة مصلحة فى علاقاتها مع الشرق الأوسط والخليج.. فإذا أدركت أن الناس فى تلك المنطقة من العالم.. أياديهم كلهم على قلب رجل واحد.. لأعادت صياغة حوارها معهم بأسلوب «الند ـ للند».. وتبادل المصلحة المشتركة.

●●●

عموما.. أن التجربة التى نمر بها جميعا صعبة، وقاسية.. ولعلها تفتح الأبواب لظروف أفضل وأحسن بحيث نعى جيدا.. أن البنيان المرصوص.. أفضل ألف مرة من الجزر المتناثرة التى لا تقدم، ولا تؤخر.

إن «أمريكا» المتحدة.. يجب أن يواجهها عرب «متحدون».. متفقون.. يحملون أمضى الأسلحة.. المال والبشر.

تأكدوا.. لو حدث ذلك ما تحركت الأساطيل والطائرات من مكانها، وما صدرت بيانات التهديد، والوعيد.. إلا بعد تريث، وتفكير عميقين.

داعية سلام... اليوم وغداً

سوف تظل مصر دائما وأبدا.. داعية سلام.. حافظة عهد.. حامية حقوق الإنسان في أي مكان يكون.

من هنا.. تجئ وقفتها الصامدة لتحقيق الاستقرار في الشرق الأوسط.. من أجل صالح الفلسطينيين، والإسرائيليين على السواء.. لأن مصر - دون غيرها - هي التي أحست بويلات شعوب المنطقة على مدى خمسين عاما من الزمان.. فهي التي قدمت التضحيات جيلا بعد جيل دون من أو أذى.

لذا.. عندما حانت ساعة الاختبار الحقيقية.. لم تجد مناصا من الذود عن كل شعاع أمل طالما تمنت أن يصبح في يوم من الأيام.. منارة مضيئة يلتف حولها الأبناء والبنات.. ينشدون معا.. ويهللون معا.. ويصفقون معا.. ويرفعون أكفهم معا.. داعين رب العالمين أن يفتح أمامهم أبواب الخير.. أبواب التنمية الشاملة... الاقتصادية، والاجتماعية.

●●●

.. ومن هنا.. يجئ دفاع مصر المستميت للحفاظ على وحدة كل من العراق، والسودان.. لأنها تؤمن بمبدأ ثابت لا يتزعزع.. وهو أن الأوطان لا تقوى، والشعوب لا يشتد عودها.. إذا أصابتها الفرقة، وإذا تحول الكل فيها إلى جزء.. وهانحن نرى «الزعيم مبارك».. يؤكد في كل مناسبة أنه ضد تقسيم العراق، والسودان أو أي دولة عربية أو غير عربية.. في نفس الوقت الذي يطالب فيه بتسوية «الخلافات» بالوسائل السلمية.. لأن

العنف لا يولد سوى العنف.. وأى نقطة دم تراق إنما تمثل عدوانا على حق الله سبحانه وتعالى الذى ينبغى أن نركع، ونسجد لمشيئته أناء الليل، وأطراف النهار.

●●●

لعل ذلك «اليقين».. هو الذى حكم سياستنا إزاء «الصومال» التى سبق أن تمزقت إربا.. إربا.. فتبددت الثروات.. واختلت الموازين.. وانهارت أساسيات «الدولة».. حتى مدت القاهرة «يديها» بتجرد عن الهوى، وعن نزعات الذات.. ليحل «السلام».. مكان الحرب.. ولتتوحد الطاقات.. ولعل أولى النتائج.. ما يجرى من إجراءات لاعادة تشغيل مطار مقديشيو، وبقية المطارات والموانى التى تم إغلاقها بعد أن انسحبت قوات الأمم المتحدة من هناك.

●●●

أيضا.. هل يستطيع أحد إنكار.. أن مصر هى التى نادت بضرورة تحقيق السلام فى «البوسنة».. إذ طالما نصحت الأطراف المتحارية بأن يقيموا حواراً فيما بينهم بدلا من هذا «الدم» الذى يراق صباحا ومساء.. حتى تبنت فى النهاية الرؤية المصرية.. القائمة على الحكمة، والخبرة، والفهم، وبعد النظر..؟؟!!

.ثم.. ثم.. من الذى نبه وحذر من مغبة الصراع الدائر فى أفغانستان؟؟

أليست هى مصر..؟

ومن الذى شدد بحسم على ضرورة أن ينال المسلمون فى كل من الهند، والفلبين، حقوقهم المشروعة دونما حاجة إلى ممارسة «العنف» بأى شكل من الأشكال..؟

إن الأمثلة - ولاشك - متنوعة، وعديدة.. فى «زمن» لم تعد فيه حياة الإنسان تشكل أهمية إلا عند الذين وهبهم الله نعمة الإيمان.. بأن هذا الإنسان يشكل أغلى قيمة، وأحلى معنى فى الوجود.

●●●

وفى النهاية تبقى كلمة:

هاهى قلوبنا.. وتلك سواعدنا، وعقولنا لانضن بها على مخلوق.. نحتضن بالحب ينابيع الوفاء.. ونبنى بالنقاء، والصفاء.. صروح النماء، والتفاؤل.

يكفى أن الإنسان غايتنا.. ومادامت الغاية.. عزيزة.. تصبح بعد ذلك كافة الوسائل سهلة وميسورة.

معك وبك . . . نصنع ومستقبلا مضيئاً

.. ونحن نقول لك: بقدر ثقتك فى قدرة هذا الشعب .. فإن عقولنا، وقلوبنا، وسواعدنا كلها تلتف حولك .. تؤيدك .. تؤازرك .. تصنع بك ومعك مجدا عريضا، ومستقبلا زاهرا بإذن الله.

إن الـ ٦٣ مليون مصرى، ومصرية يؤكدون للرئيس مبارك .. أنهم لن يتوانوا يوما عن بذل كل مرتخص وغال فى سبيل حماية الأمن الداخلى، والسلام الاجتماعى، وتحقيق العبور العظيم الجديد فوق جسور التنمية.

●●●

حقا .. نحن سعداء .. ،ومطمئنون فى نفس الوقت إلى أن الرئيس مبارك حريص أبلغ الحرص على ترسيخ قواعد الديمقراطية، والحرية، وسيادة القانون.

إننا نعلنها صريحة، وواضحة .. إن هذه القلاع، وتلك الحصون لم تهتز يوما عندما حاولت قوى الظلام، وعناصر البغى والعدوان حجب منافذ النور .. لكن هيهات هيهات.

نعم .. وألف نعم .. لقد واجه الرفض الشعبى الشامل .. البؤر الضالة ولم لا .. وكل واحد على أرض مصر يوقن تماما اليقين .. بأنه يذود عن يومه، وعن غده .. ويصنع حلما جميلا طالما انتظرناه على مدى سنوات وسنوات.

●●●

لقد وقف الرئيس مبارك خلال الاحتفال بليلة القدر يطالب المسلمين جميعا بالوقوف بكل شدة، وصرامة أمام دعاة الإرهاب الأسود الذين يسعون إلى إضعاف الأمة، وإنهاك قواها، وتبديد مواردها فيما لا يفيد.

ثم جاء الرئيس ليؤكد أن عناصر الاجرام لن تنجح فى وقف مسيرة التقدم، ولن تتمكن من هدم إنجازات حققها شعب مصر عبر سنوات طويلة من نضال شاق دفع فيه الكثير من العرق، والدموع.

لاشك.. أن تلك كلها حقائق ثابتة.. لاسيما وأن الرئيس مبارك يرجع إليه فضل التنبيه إلى خطر الإرهاب «المنظم» الذى لا يعرف دينا، ولا جنسا، ولا أخلاقا، ولا ضميرا.. وكم من مرات عديدة دعا فيها المجتمع الدولى إلى ضرورة اتخاذ موقف موحد إزاء قوى الشر، ومحذرا الدول التى تأوى المجرمين من الوقوع فى دوامات المحظور.. وواضح أن الاستجابة لدعوة الرئيس تلقى القبول، والتأييد، والاستحسان من جانب المسلمين، وغير المسلمين على السواء.

●●●

أما بالنسبة لنا فى مصر.. فليعرف العالم كله.. أننا فعلا تعبنا، وكافحنا، وصبرنا، وتحملنا الصعاب.. لكى نقيم عصر النهضة الكبرى الذى ستشير إليه الدنيا بالبنان قريبا بإذن الله وبالتالى لن نسمح لكائن من كان بأن يعطل انطلاقتنا من قريب أو من بعيد.

لقد وقفنا بجرأة، وشجاعة فى صف واحد متراص نمنع محاولات اغتيال آمال الأبناء، والبنات.. ولم نهن، ولم نضعف، ولم نتراجع لحظة واحدة إلى الوراء.

إننا نردد مع حسنى مبارك أمام الملأ فى الشرق والغرب، والشمال، والجنوب:

لن تصد جحافل الظلمة مواكب النور ولن يوصد دعاة الماضى أبواب المستقبل

ولن ينجح أعداء مصر فى ضرب آمالها.

ياسادة..

نحن نعتز بأننا المصريون الذين عقدوا العزم على تحويل المستحيل إلى ممكن وأنا بعون الله لقادرون.

الرؤية غير الرؤية . . والطموحات تختلف

.. وهكذا القائد دائما.. يخطط، ويتابع ـحـاسب.. حتى يطمئن فى النهاية إلى أن «الهدف» قد تحقق بأعلى قدر من الكفاية.

فعل ذلك.. عندما قرر تجديد البنية الأساسية.. وكم شاهدناه.. وهو ينتقل بين واقع العمل.. عند محطات المياه، والكهرباء، والصرف الصحى. يلتقى بالمهندسين، والعمال.. يستمع إليهم.. ويطلب تحديد جداول زمنية.. ثم يعاود الكرّة.. ليرى على الطبيعة حجم الانجازات المتوالية..

نفس الحال.. عندما تبين أن معظم آلات مصانعنا قديمة.. منهالكة.. فقرر تجديدها تجديداً شاملاً.. ثم توجه إلى مئات المصانع.. يتحسس نوعية الإنتاج بأنامله ويطالع التقارير الفنية، ويشحذ همم العمال مطالبا بمكافأة المجد.. ومحاسبة رئيس مجلس الإدارة المقصر.

ولعلنا جميعاً.. نذكر زيارته لأحد المصانع الكبرى الذى ينتج أجهزة وأدوات منزلية.. وكانت المفاجأة.. عندما رأى «العمال».. وقد شلت أياديهم.. فأراد أن يستفسر من رئيس مجلس الإدارة عن أسباب تراجع الإنتاج وتوقف النشاط.. فقدم إجابات أثبتت أنه فى واد.. والمصانع التى يتولى إدارتها فى واد آخر.

فى نفس اليوم صدر قرار بتنحية رئيس مجلس الإدارة وتعيين بديل آخر قادر على ممارسة العمل خلال الفترة الزمنية التى حددها الرئيس لإعادة بناء مصر فى شتى المجالات.

●●●

أيضاً.. حرص الرئيس مبارك على زيارة معظم المدن الجديدة، وتفقد المشروعات التى تقام على أراضيها.. يجتمع بالمستثمرين.. ويأمر بمنح التسهيلات، ونسف العقبات، والقضاء على المعوقات.. وبصراحة لولا ذلك ما تدفقت علينا رؤوس الأموال بهذا الحجم وتلك الصورة.

باختصار لقد قدم القائد القدوة والمثل.. فى تحمل المسئولية، وفى التعاون والتآزر، وفى الإيثار، وفى أن تكون مصر دائما فى مقدمة الصفوف.. فانعكست هذه المبادىء على أداء الفرد، والمجموع سياسيا، واقتصاديا، واجتماعيا، ومهنيا.

●●●

.. واستنادا إلى نفس تلك المفاهيم يقوم الرئيس مبارك بزيارات دورية لمنطقة توشكى لمتابعة مراحل إنشاء الوادى الجديد أولا بأول.. وبذلك فلنستبشر جميعاً خيرا.. بأن صروح الأمل المرتقب.. سوف تعلو، وتعلو.. دون تباطؤ ولو للحظة واحدة.

●●●

لقد قال الرئيس مبارك يوم إعطاء إشارة البدء لتنفيذ مشروع الوادى الجديد.. للعاملين فى منطقة توشكى بأنه سيأتى إليهم.. مرات.. ومرات.. ليمضى معهم أحلى الساعات، وأجمل الأيام.. يداه فى أياديهم.. وعقله مع عقولهم.. يتبادلون حماسا بحماس.. وحبا بحب.. فى سبيل النهضة الكبرى التى شاء قدر مصر أن تعيشها مع حسنى مبارك.. ورحب العاملون فى الموقع الجديد بأن يكون الرئيس معهم فى كل وقت.

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

إن مصر.. وهى تقتحم القرن الحادى والعشرين بأمضى أسلحة الحق، والعدل، والعلم، والمعرفة.. مصر مبارك.. تختلف بكل المقاييس عن مصر الخمسينيات، أو الستينيات.. وبالتالى لا مجال أبدا للمقارنة - على سبيل المثال - بين مديرية التحرير، ومشروع قناة توشكى.. لأن الرؤية غير الرؤية.. والفكر غير الفكر.. والطموحات غير الطموحات.

نبض المواطن المصرى .. تحت ميكروسكوب الحكومة

حكومة الحزب الوطنى.. تعمل بجد، ونشاط ليس فى ذلك شك.

وتوجيهات الرئيس مبارك تقضى بأن تبحث الحكومة دوماً عن احتياجات السواد الأعظم من المواطنين.. وتعمل على تلبية تلك الاحتياجات بقدر الإمكان.. ولعل القرارات المتتالية التى تتخذها الحكومة.. وتعد منها مشروعات قوانين ثم تحيلها إلى مجلس الشعب.. خير مثل وأبلغ دليل على أن نبض رجل الشارع تحت الميكروسكوب فى كل وقت.. بحيث يتم التعرف أولاً بأول على سرعته الحقيقية والطبيعية دون تدخل آية عناصر مفاجئة، أو استثنائية.

●●●

فى خطابه أمام مجلسى الشعب والشورى طالب الرئيس مبارك بضرورة أن تقتحم مصر مجال التكنولوجيا المتقدمة.. أو «العالية» أسوة بالعديد من دول العالم التى استطاعت عن هذا الطريق تحقيق نتائج مذهلة فى الصناعة والزراعة، وضرب الرئيس مثلاً.. بأنه نتيجة استيعابنا لتكنولوجيا الهندسة الوراثية فى الفترة الأخيرة.. زاد إنتاج فدان القمح بنسبة ٣٢٥ فى المائة مقارنة بعام ١٩٥٢ .

بديهى.. أن النسبة كبيرة، وهائلة.. لكن السؤال:

هل الحكومة وحدها.. هى المطالبة بإدخال التكنولوجيا المتقدمة فى جميع مجالات حياتنا..؟؟

الجواب بالنفى طبعاً.. بل هناك شركات الاستثمار التى تحصل على كافة التسهيلات من أجل أن توفر للوطن ما تعذر عليه إيجاده خلال مراحل زمنية سابقة.

أيضاً.. الجامعات الخاصة.. ماذا فعلت حتى الآن من أجل إدخال هذا النوع من التكنولوجيا..؟؟

.. و.. وأين علماؤنا، وأساتذتنا الذين لابد أن يكون لهم دور، ودور إيجابى بعيداً عن مواقعهم فى «الدواوين» المغلقة.. بل تحتم عليهم مسئولية بناء النهضة المصرية الجديدة.. سرعة التحرك، والاتصال بنظرائهم فى العالم.. لأن الانطوائية، والانزواء.. لن يقودا للهدف الذى نبتغيه ونتمناه.

●●●

فى نفس الوقت.. نحن نعلم أن الرئيس مبارك يولى رعاية فائقة للتصدير.. وبصراحة إنه ليس راضياً.. أن يتوقف مؤشر صادراتنا عند رقم ٢,٧ مليار دولار سنوياً.. بينما دولة مثل ماليزيا يبلغ حجم صادراتها ٧٠ ملياراً.. ومثل ماليزيا كثيرون.. ولعل هذا يدفعنا إلى تكرار نفس السؤال:

وهل الحكومة هى اليد الوحيدة التى يعهد إليها بدفع عجلة الصادرات..؟؟

ببساطة شديدة.. الحكومة فى إمكانها.. أن تهيئ المناخ سواء فى الداخل أو الخارج، وأن تمهد الأرض، وأن تعد الدراسات.. لكن «العمل الحقيقى» يجب أن تقوم به شركات قطاع الأعمال، والقطاع الخاص.. لأنها هى التى تنتج السلع بمختلف أنواعها.. وهى التى تدخل أسواق المنافسة العالمية. وبالتالى تحاول وتجتهد لكى تصل إلى الحد الذى تستطيع عنده ـ ولو خلال الفترات الأولى ـ تحقيق الموازنة بين الاستيراد والتصدير.

●●●

عموماً.. لقد طرح القائد .. «رؤاه» وقدم آراءه، وأفكاره.. ولا جدال أن الرئيس مبارك متابع جيد.. لذا فلتستعد كل الأطراف عما قريب لكى تبين ما حققته فى الأخذ بأساليب التكنولوجيا العالية.. وفى زيادة حجم الصادرات.

أكرر.. فلتعدوا أنفسكم جيداً.. لأن مصلحة مصر فوق أى اعتبار.

حياة جديدة . . بكل المقاييس

الحمد لله. أن أصبحت المشروعات القومية العملاقة تتعدد على أرض مصر، وتتنوع.. بعد أن كانت العجلة قد توقفت تقريبا.. بعد بناء السد العالى.

لا جدال.. إنها رؤية ثاقبة.. وإدراك واسع لزوايا الحاضر، والمستقبل.. وموازنة واقعية وحقيقية بين المستحيل، والممكن.

•••

نعم.. نحن نعلم جيداً.. بأن هذه المشروعات تتكلف مبالغ باهظة.. لكن كلنا فى النهاية.. سوف نجنى العائد.. بل لقد بدأنا نقطف الثمار بالفعل.

مثلاً.. مترو الأنفاق.. الذى تحدى به الإنسان المصرى كافة الصعوبات والعقبات.. ألم يساعد على تخفيف وطأة الزحام بما يحفظ كرامة المواطن، أو المواطنة.. من خلال وسيلة مواصلات مريحة، وسريعة..؟

.. و.. وهذه المعجزة الحقيقية.. معجزة توصيل مياه نهر النيل إلى سيناء التى لم تطرأ ببال جميع الحكومات السابقة منذ عهد الفراعنة حتى اليوم.. ألا تخلق حياة جديدة بكل المقاييس تنتج عن زراعة عشرات الآلاف من الأفدنة فى غرب وشرق قناة السويس..؟؟

ان الزراعة تحتل جناحاً هاماً من أجندة الاقتصاد.. وكلما تطورت.. تقدم الازدهار، ونما.. فضلا عن أن عمليات الاستصلاح، والاستزراع، وجنى المحاصيل من شأنها توفير فرص عمل كثيرة لشباب مصر الذين يضعهم «حسنى مبارك» نصب عينيه دائما ويسخر كافة الإمكانات، والطاقات.. من أجلهم.

•••

أيضاً.. هناك مشروع القرن القادم كما يسميه مبارك.. فى «توشكى».. حيث يجرى إنشاء واد جديد للنيل.. لينطلق المجتمع - كل المجتمع - إلى آفاق رحبة، واسعة وبالتالى يتحرر من ضيق المكان الذى طالما عانى منه الصغير والكبير.

من هنا.. يحرص الرئيس على أن يؤكد دوما.. بأن مراحل إنشاء هذا المشروع سوف تستغرق فترة طويلة قد تصل إلى عشرين عاماً.. الأمر الذى يؤكد أن السلسلة متصلة الحلقات.. وأن النظرة الضيقة لم يعد لها وجود لدينا الآن.

●●●

لكن للأسف.. مازال بيننا من تعودوا على أن يفتوا بغير علم.. فيزعموا بأن الحكومة قد بحثت وأقرت مشروع توشكى خلال خمسة شهور فقط وهى مدة ليست كافية.. فضلا عن أن نفقاته كبيرة يصعب تدبيرها..!

ونحن نرجو هؤلاء.. أن ينزعوا الغل، والحقد من قلوبهم لا سيما إذا كان الأمر يتعلق بالعزيزة مصر.. فالمشروع - يا سادة - تمت دراسته دراسة مستفيضة من مختلف جوانبه بمعرفة خبراء أكفاء على أعلى مستوى.. فى نفس الوقت الذى يجب أن تتيقنوا فيه جيدا.. بأن عصور «العشوائية» قد انتهت إلى غير رجعة.. لأن قواعد عصر مبارك واضحة.. محددة المعالم.. إنها العلم، والتخطيط، والموضوعية.. و.. و «المصلحة العامة».

●●●

لقد أحسسنا.. ونحن نستمع للرئيس مبارك.. أنه يتحدث بفخار، وزهو عن مشروعاتنا الكبيرة.. والتى لم تقتصر على سيناء، وتوشكى فقط.. بل امتدت لتشمل العوينات، وجنوب شرق أسوان، وخليج السويس الذى سيشهد منطقة حرة ضخمة توفر فرص عمل لعشرات الآلاف من أبنائنا وبناتنا.

●●●

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

ما أسعدنا حينما نرى الرصيد يتزايد يوماً بعد يوم.. فها هو اقتصاد يشتد عوده، ويقوى بنيانه.. وها هم مستثمرون يأتون إلينا.. مطمئنين.. آمنين.. وتلك قلاع ترتفع مع طلعة كل شمس.. قلاع تبعث.. ضياء الخير، والأمل والتفاؤل حتى تزداد الطاقات، والمنافذ.. لتتراجع مشكلة البطالة.. ويرتفع متوسط دخل الفرد.. وتتسع مساحة الحرية، والديمقراطية.

حقا.. ما أسعدك يا شعب مصر.. واللهم لا حسد.

مبارك . . المسئولية . . والأمانة

يتحدث الرئيس مبارك من فوق منبر مجلس الشعب إلى جماهير شعب مصر.. بصراحته المعهودة.. وبواقعيته التى ميزت سنوات حكمه.. منذ أن وقعنا معه عقد بارادتنا الحرة.. لكى يتولى مسئولية القيادة.. وها نحن نشهد من جديد.. بأنه قد أداها - ومازال يؤديها والحمد لله - بكل أمانة، ونزاهة، وشرف.

●●●

الرئيس مبارك يقف أمام مجلسى الشعب، والشورى بمناسبة بدء انعقاد الدورة الجديدة..ليؤكد على عدة حقائق أساسية.. لعل أهمها:

● خروج مصر من عنق الزجاجة الاقتصادية بعد أن أجرت اصلاحاً اقتصادياً اعترفت بكفاءته المنظمات والهيئات الدولية خصوصا وأن مصر قد راعت عند تطبيقه مبدأ التدرج، وحماية أصحاب الدخل المحدود.

لقد أدى هذا الإصلاح إلى خفض معدلات التضخم إلى ٤ ٪ وزيادة معدل النمو إلى ٥ ٪ وخفض العجز فى الموازنة العامة إلى ١ ٪ مقابل ٢٠ ٪ عام ١٩٩٠ وذلك وفقا لآخر تقرير أصدره صندوق النقد الدولى منذ أيام.

● توصيل مياه نهر النيل إلى سيناء.. لاستزراع ٦٤٠ ألف فدان بهدف زيادة رقعة الأرض الزراعية حتى يمكن استيعاب الزيادة المطردة فى عدد السكان.

● الخروج من شريط الدلتا الضيق لإقامة واد جديد للنيل فى الجنوب.. تنتشر فوق أرضه المشروعات الزراعية، والصناعية، والسياحية.. الأمر الذى يؤدى إلى تغيير وجه الحياة تماماً فى مصر.

- تشجيع الاستثمار والمستثمرين وتقديم كافة التسهيلات الممكنة من أجل توفير فرص عمل للشباب وإنتاج صناعات متنوعة بعضها للاستهلاك المحلى، والآخر يجرى تصديره للخارج.
- مواجهة البيروقراطية وتيسير تعامل الجماهير مع مرافق الخدمات تأكيدا للمبدأ الذى لا حيدة عنه أبدا والذى يقول: كل شيء.. من أجل المواطن المصرى.
- ترسيخ قواعد السلام الاجتماعى من خلال حماية مصالح أبناء الطبقات الكادحة.. فى نفس الوقت الذى يسدد فيه «الاثرياء» ما يستحق عليهم من ضرائب والتزامات.
- التأكيد على مبدأ الفصل بين السلطات بحيث لا تطغى سلطة على أخرى مع العمل على تبسيط إجراءات التقاضى حتى تخفق رايات العدل فوق ربوع أرجاء الوطن.
- حماية الإرادة من أى تدخلات وتوفير كافة المقومات اللازمة لتحقيق الأمن، والاستقرار.. ومواجهة دعاة الزيف، والضلال، والخارجين عن القانون بشتى السبل والوسائل.
- الحرية والديمقراطية.. لاتنازل عنهما تحت وطأة أى ظرف من الظروف.. فتحت مظلتهما.. ترتفع قلاع التنمية.. وتتوارى محاولات الفساد، والافساد.
- السلام.. خط مصر الاستراتيجى تدعو إليه، وتدافع عنه.. وتبذل أقصى الجهود من أجل انقاذه من عثرته.
- يجب على إسرائيل أن تنصاع لنداءات العقل.. فتبادر بتنفيذ الاتفاقات والمعاهدات التى سبق أن وقعتها.. لأن انهيار السلام.. يؤدى إلى عواقب وخيمة تضر بكل الأطراف.

●●●

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

من أهم سمات حكم مبارك.. أنه يمثل سلسلة متصلة الحلقات.. كل واحدة منها مرتبطة بالأخرى ارتباطا وثيقا.. وكل واحدة تتعامل مع ما قبلها، وما بعدها.. بنوع من الألفة، والمودة، والصدق.. حيث لم يكن هناك منذ سنوات مضت مكان للصدمات المفاجئة، ولا للمسكنات الوقتية.. بل إنه دأب، وصبر، وعمل، ونجاح دائم بإذن الله.

«قذائف».. العبور الثانى لسيناء

من موقع القوة.. ومن أرض «العبورين».. الأول والثانى.. ومن مهد الإرادة الصلبة.. والعزيمة التى لم تلن يوماً واحداً أطلق الرئيس مبارك مع إشارة بدء توصيل المياه إلى سيناء ـ تصريحات واضحة، ومحددة.. عكست مواقف مصر التى لا تتغير حسب الظروف، والمناسبات.. وأكدت مبادئها وسياستها التى يقف أمامها العالم احتراما، وتقديراً، وإجلالاً.

●●●

كالعادة.. ومع كل مشروع عملاق تقيمه السواعد الفتية.. تتعدد التكهنات. وتكثر الأقاويل.. ويطل الحقد الأسود بشكله القبيح.. لكننا ـ والحمد لله ـ قادرون على الرد، والمواجهة، بل والردع أيضا.. لأننا نحمل بين جنباتنا أمضى أسلحة فى الوجود.. أسلحة الحق، والعدل، والجرأة والشجاعة.

●●●

منذ أن أخذت ساعة الصفر تقترب.. والمزاعم الباطلة تتردد بلا أدنى حياء، أو خجل ..! ومعها الأسئلة الخبيثة التى يطرحها مروجو الباطل دون وازع من ضمير، أو من أخلاق:

مياه النيل سوف تتسلل إلى إسرائيل..!

كيف نفرط فى ثروتنا الخالدة التى ارتبطت بنا، وارتبطنا بها منذ فجر التاريخ.. لكى نقدمها لقمة سائغة لمن لا يستحق..؟!

أثيوبيا غاضبة. لأن مصر لا تحترم الاتفاقات المبرمة معها..!!

وغير ذلك من «أراجيف» ما أنزل الله بها من سلطان.

●●●

من هنا.. جاءت تصريحات الرئيس مبارك لتصيب الهدف من أقصر طريق.

لقد ألجم الرئيس.. بكلماته القاطعة.. أفواه جميع الذين أفتوا بغير علم.. وأيضا ناشرى الأكاذيب، ومؤلفى الروايات المفبركة.

أبدا.. لن تذهب مياه مصر.. إلى أى كائن من كان.

ولعل الذين استمعوا إلى تلك «القذيفة الكبيرة».. قد بهتوا.. إذ ليس منطقيا أبدا.. أن نكد، ونتعب، ونجتهد، وننفق الأموال.. من أجل عيون إسرائيل أو غير إسرائيل..!

نحن «ياسادة» قوم نعشق كل ما له صلة بهذا الوطن.. ترابه.. سمائه.. نيله.. بحاره.. وبالتالى فإننا نضع جميع هذه الأشياء بين حبات عيوننا.. وداخل جوارح قلوبنا.

.. ونحن أيضا - يا سادة - نحترم اتفاقاتنا، وتعهداتنا.. ومياه النيل يجرى توزيعها بناء على اتفاقيات لا يمكن أبدا أن نسمح لأنفسنا بالمساس بها.. فتلك شيمتنا، وهذه سلوكياتنا ليس من اليوم فقط.. لكن منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى.. الأرض ومن عليها.

على الجانب المقابل.. هل معقول أن نسلم إسرائيل باختيارنا.. ما يساعدها على بناء المستوطنات.. بينما نحن أول من يطالبون ويصرون على أن تذهب كل تلك المستوطنات إلى الجحيم..؟

●●●

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

مع نهاية شهر أكتوبر.. شهر النصر المؤزر.. شهر العبور الأول عام ١٩٧٣ والعبور الثانى ١٩٩٧ .. ومع هذا المشهد التاريخى العظيم فى حياة شعب مصر.. هاهو حسنى مبارك يرفع صوته مدويا للعالمين.. بأن مصر قادرة على الدفاع عن كل شبر من أراضيها بل إن أحدا لا يجرؤ على الاعتداء عليها.

نعم.. يستحيل ويستحيل.. أن تطرأ حتى الفكرة فى ذهن أى قريب أو بعيد.. لأننا - دون غرور - ملك الآلة، والمعدة، والعقل، والسواعد.. شمسنا حارقة.. وسماؤنا غالية.. وقائدنا وزعيمنا.. نسر جوى خارق، ومحارب عتيد، ورائد للسلام لا ينافسه منافس.

●●●

إن «العرين» قوى.. والويل كل الويل لمن يعوى، ويعوى.. حتى يضطر «الأسد» فى النهاية.. إلى أن يزأر.. ومع ذلك نعود لنكرر أننا لسنا دعاة شر، أو حرب.

مصر الوطن.. والحرية.. والتضامن.. والزعامة

الدول الكبيرة.. لا تتأثر بالأحداث العابرة «الصغيرة».. والشعوب العظيمة لا تتوقف عند زاوية محددة من الطريق.. والرجال الذين ولدوا وتربوا وعاشوا وهم مرفوعو الهامة.. يستحيل أن يطأطئوا رؤوسهم مهما كانت الأسباب، والمبررات.

من هنا.. كان طبيعيا.. ألا تتعثر المسيرة فى مصر نتيجة «ضربة» مجنون عشوائية.. وبديهى أن تستمر الأضواء.. ساطعة مهما بذل خفافيش الظلام من محاولات دنيئة يائسة.

●●

إن مصر - أيها السادة - هى وطن الـ ٦٣ مليون عامل، وفلاح، ومثقف، وعالم، ورجل أعمال الذين يشهد التاريخ بقوتهم، وعزتهم، وجرأتهم فى مواجهة قوى البغى، والضلال.. رافعين عاليا.. رايات الوحدة، والتضامن، والتعاطف الوجدانى المشترك.

.. ومصر هى رمز «العسكرية المتفوقة».. التى سجل العالم انتصاراتها الساحقة على مدى العصور، والأزمان.. ولعل معركة العبور عام ١٩٧٣ خير شاهد، وأبلغ دليل على كفاءة الجندى المصرى.. وتقدم الآلة الحربية المصرية ومتانة الساعد المصرى ونقاء العقل المصرى.

●●●

ومصر.. هى حصن الحرية، والديمقراطية، وسيادة القانون.. فعلى أرضها نمت وازدهرت أحلى المعانى.. وترسخت أغلى القيم.. وارتفعت صروح المبادئ التى لاتتغير أبدا.. ولا تتبدل لأنها قائمة على الحق، والعدل، واحترام إنسانية الإنسان.

●●●

ومصر ـ أيها السادة ـ هى «السياسة النظيفة» التى لا ترضى بالانحناءات، والالتواءات، وترفض فكرة الانغلاق تارة والانفتاح تارة أخرى.. وبالتالى فهى ضد كل ممارسة رخيصة.. أو أى مزايدة تخلو من الجوهر، والمضمون.

●●●

.. ومصر هى قاعدة الانطلاق «الحضارية» للاقتصاد «العالمى الجديد».. الاقتصاد الحر الذى يعتمد على الكفاءة الذاتية وصدق الأداء، والثقة فى النفس بغير حدود.

●●●

ومصر ـ أيها السادة ـ هى الزعامة بكل ما تحمله الكلمة من معنى.. والقيادة التى لا تكيل بمكيالين.. بل إن جميع الأبناء والبنات عندها سواء.. تكد، وتعمل، وتجتهد من أجلهم.. وتجوب شتى بقاع الأرض لكى توفر لهم الحياة الأفضل.

●●●

لهذه الأسباب كلها.. ليس أمام الدنيا.. سوى أن تقبل على مصر.. تستمتع بمعالم حضارتها، ومظاهر نهضتها.. تتنافس على إقامة المشروعات العملاقة التى تجلب الخير لمن عمرت قلوبهم بالخير.

نموذج.. لفن القيادة

لعل من أهم السمات التى تميز عصر الرئيس مبارك.. أنه لم يهتم بالفرعيات، أو الجزئيات الصغيرة.. بل ركز على الأساسيات، «والأصول»، والقواعد ذات المساحات الضخمة، والعريضة.

من هنا.. جاء الاقتحام الجرئ فى البداية للبنية الأساسية. فتم تجديدها تجديدا شاملاً.. عكس ما كان يحدث فى الماضى حيث اقتصر الأمر على عمليات «ترقيع»، وترميم.. سرعان ما ضاع أثرها.. ليبقى «الداء» مهددا بشتى أنواع الخطر.

ثم.. ثم ركز الرئيس على غرس جذور الأمن، والاستقرار حتى يتوفر المناخ المناسب للاستثمار، والتنمية.. وقد وجد مبارك برؤيته الثاقبة.. أن الحرية، والديمقراطية هما الطريق «المضمون» للأمن والاستقرار عكس ما تصور الكثيرون.. فعمل على فتح المنافذ، والأبواب دون أدنى قيود.. حتى يتمكن الناس من استنشاق الهواء النظيف الذى ظلوا محرومين منه سنوات.. وسنوات.

●●●

نعم.. نحن نعترف أننا وجدنا صعوبات.. بل مازال بعض هذه الصعوبات قائما.. لكن فكر مبارك يقوم أساسا على أن هذه الصعوبات سوف تزول.. كلما تعمقت التجربة.. وكلما تدربت الجماهير على الممارسة الصحيحة.. وهذا ما نلمسه الآن بالفعل.

●●●

ولأن «القانون» عند مبارك هو الحكم العدل لتنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع.. فقد أعلن احترامه، وتقديره لكل ما يقضى به القانون.. لكى يطمئن كل مواطن إلى أن أمواله، وممتلكاته مصانة.. وعرضه «محفوظ».. لا يستطيع كائن من كان على المساس به.. وإلا تعرض للمساءلة، والعقاب.

لذا.. أصبح القانون هو الضلع «الثالث» مع الحرية.. والديمقراطية لتغطى «مظلة الأمان» كل شبر فى أرض مصر العزيزة.. ثم انطلقت بعد ذلك مسيرة التنمية كأحلى ما يكون.. لأن مبارك ـ كما أشرت فى البداية ـ لم يشغل باله بصغائر الأمور.. بل اتجه إلى كل ما هو عملاق، وضخم، وهائل.

●●●

على الجانب المقابل.. شاء قدر مبارك أن يتولى زمام القيادة.. بينما منطقة الشرق الأوسط جميعها تتوق إلى «السلام» بعد أن كلفت الحروب المتتالية شعوبها الكثير، والكثير جدا.. كلفتها المال، والجهد، والوقت، ودماء أغلى الرجال.

ولأن «مبارك» خرج من صفوف الجيش المصرى وشارك فى معاركة من أجل الدفاع عن الحق، والعدل.. فضلا عن أنه صاحب الضربة الأولى فى معركة العبور العظيمة.. فقد آل على نفسه أن ينحاز إلى جانب السلام مهما كانت الظروف والعقبات.. يشد من أزره، ويحث عليه، ويبذل المستحيل لانتشاله من الغرق حينما تتكاتف ضده الأنواء، والأعاصير، والأمواج المتلاطمة، ومثيرو نوازع الحقد، والكراهية، والتطرف «اللا معقول» بشتى ألوانه وأشكاله..!

لذا.. وقف الغرب والشرق عن بكرة أبيهما مقدرين، ومحبين، ومشيدين بدور مبارك الأخلاقى والمبدئى.. وها نحن نرى الرئيس الأمريكى كلينتون يؤكد دوما.. أنه لولا مبارك ما تقدمت مسيرة السلام خطوة واحدة.. نفس الحال بالنسبة للرئيس الفرنسى «جاك شيراك» الذى يقول إن الله سبحانه وتعالى شاء أن يتولى مبارك قيادة أكبر وأقوى دولة فى منطقة الشرق الأوسط.. ليضرب من خلالها القدوة والمثل.. على أن السلام يحتاج إلى القوة، وإلى العزيمة الراسخة، والإرادة التى لا تلين، والتحدى الذى ما بعده تحد.

.. وأيضا طالما كرر الرئيس بوريس يلتسين - أنه لا سلام بدون مصر.. وأن الجهود التى تبذلها القيادة المصرية لا يقدر عليها غيرها..

.. وهكذا الحال.. مع رؤساء وزعماء العالم أجمع.. ورؤساء وزاراته.. ووزراء خارجيته.. وآخرهم «مادلين أولبرايت» وزيرة الخارجية الأمريكية التى قالت من بين ما قالت:

«إن الولايات المتحدة الأمريكية تكن الاحترام البالغ للقيادة التى يتزعمها الرئيس مبارك بشجاعة، وحسن رؤية وأدت بمصر إلى موقع استراتيجى فى الشئون العالمية.. أننا نقدر مشورته وخبرته.

إن مصر قائدة للعالم العربى، وتشارك مع هذا العالم اهتمامات بالغة.. إلى جانب كونها أكبر دولة فى أفريقيا، وتلعب دورا متزايدا بصفة دائمة ليس فى الشمال فحسب.. لكن فى القارة بأكملها»

●●●

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

بديهى.. أن الواقع هو الذى يفرض نفسه.. والنجاح - ولا شك - له معايير ثابتة، ومحددة.. والخبرة إنما تأتى نتيجة ملكات، واستعدادات، ومواهب، وعلم.. وصفاء القلب هبة من الله سبحانه وتعالى الذى نحمده ونشكره.. على أنه جعل مصر مبارك.. فى أعلى عليين.

حينما يتكلم الحاكم والمحكوم.. لغة واحدة

لعل الرئيس مبارك من الزعماء القلائل فى العالم.. الذين تطير وكالات الأنباء تصريحاتهم، وأحاديثهم فى التو واللحظة.. وتنقل محطات الإذاعة والتليفزيون عبر شبكات الأقمار الصناعية عباراتهم بالكلمة والحرف.. حيث بات من المسلم به أن الرئيس مبارك لا يفعل إلا ما يقول.. وأن مواقفه تتسم بالصراحة، والصدق، والموضوعية، ويعلن التاريخ أنه منذ تولى زمام قيادة هذه الأمة.. وهو حريص على أن يرتقى بأسلوب الحوار.. تحت وطأة أى ظرف من الظروف.

●●●

تعرض الرئيس مبارك من خلال تصريحات خاصة أدلى بها لعدة قضايا أساسية.. سوف أختار منها ثلاثا فقط.. لكى نتبين إلى أى مدى يؤثر الزعيم المعبر عن مشاعر، وأحاسيس، ورغبات شعبه تأثيرا بالغا فى مجتمعات أخرى.. قريبة كانت أو بعيدة.

●●●

القضية الأولى هى قضية السلام الذى دائما يصفه الرئيس مبارك بأنه الخيار الاستراتيجى الوحيد الذى لا بديل عنه.. من أجل صالح شعوب منطقة الشرق الأوسط كلها.. فى نفس الوقت الذى حذر فيه الرئيس من أعمال العنف.. إذا ما أصمت إسرائيل أذانها وظلت ترفض الاتفاقيات، والمعاهدات الدولية.. وتضيق الخناق على الفلسطينيين.

بعد لحظات.. كانت كلمات الرئيس تدوى فى الدنيا بأسرها.. وما يدعو - بحق - للفخار، والاعتزاز.. أن أحدا لم يبد رأيا مخالفا،، أو ينتقد لمجرد النقد.. بل إجماع دولى على أن الهدف الأساسى لـ «حسنى مبارك» أن ينعم الشرق الأوسط بالأمن، والاستقرار والازدهار.. وبالتالى فالمصلحة العليا تقتضى الالتزام - أقول الالتزام - بنهجه، وفكره، ومبادئه التى تعود ألا يحيد عنها أبدا.

●●●

القضية الثانية.. هى مشكلة الارهاب الذى يعانى منه الآن شعب الجزائر الشقيق معاناة فاقت كل الحدود.. من هنا فقد ناشد الرئيس شعب الجزائر وقف نزيف الدم.. مؤكدا على أن عمليات القتل الجماعية والعشوائية للأبرياء على أيدى الخارجين على القانون.. تسىء أبلغ إساءة للإسلام، والمسلمين.

إن موقف الرئيس مبارك تجاه الإرهاب، والإرهابيين جرىء، وشجاع، ودعوته لمواجهة المخططين، والمنفذين لم تفتر يوماً.. نظراً لإيمانه.. بأن الإرهاب لا يعرف دينا، ولا حدودا، ولا لغة، ولا قيمة، ولا أخلاقا.. لذا.. فإن تنبيهاته، وتحذيراته لم ولن تتوقف للغرب والشرق.. لأن من يساند الإرهاب اليوم.. سوف يروح ضحيته غدا.. وها هى التجارب العملية خير شاهد وأبلغ دليل.

●●●

أما القضية الثالثة.. فهى الارتباط الوثيق بين حرية الصحافة ومحاربة الفساد والمفسدين.. ولقد بادرت أحزاب المعارضة قبل غيرها بتوجيه الشكر للرئيس على ذوده الدائم عن حرية الصحافة، وحمايته لنتاج العقول، متفقة على ما يؤكده دائما بأن التجريح لا يجوز، ولا يليق..

على الجانب المقابل.. عم الارتياح من جديد كافة فئات المجتمع لقول الرئيس: «لاتهاون مع المخالفين، والمنحرفين».

●●●

وفى النهاية تبقى كلمة:

ما أحلى أن يتكلم الحاكم، والمحكوم لغة واحدة.. محددة المعانى.. واضحة الأسلوب.. فلا لف، ولا دوران.. ولا مزايدة من جانب هذا الطرف أو ذاك.

إننا جميعا - دون تحيز أو مجاملة - نوقن تمام اليقين.. بأن «حسنى مبارك».. هو المعايش الصادق لأحلام وطن، وآمال وطموحات شعب اتفق أبناؤه على أن يكونوا يدا واحدة فى السراء، والضراء.. وعقلاً ناضجاً ينفتح بروية، وتأن على الآفاق الرحبة الواسعة.. فكان هذا الانسجام الرائع والأداء المتميز.

.. وتوالت الشهادات.. من الخارج

الآن. وقد اقتربنا من المرحلة النهائية للاصلاح الاقتصادى.. يثور سؤال مهم:

● وماذا بعد..؟؟ أو بالأحرى.. متى نجنى الثمار الحقيقية التى بتوفرها.. تختفى البطالة، ويرتفع مستوى دخل الفرد، وتخف حدة الضيق «المكانى».. فى المنزل، وفى الشارع، وفى المدرسة، وفى الجامعة.. وغيرها.. وغيرها..؟؟

د. كمال الجنزورى رئيس الوزراء يجيب على السؤال فى بساطة:

لقد هيأ الرئيس مبارك.. الأرض كأحلى ما يكون حيث تم تجديد البنية الأساسية تجديدا شاملاً، وتوطدت علاقة مصر بالغرب والشرق نتيجة اتصالاته الفريدة والمتميزة وحكمته فى إدارة الأمور، وتقييمه الصادق، والصحيح لمختلف القضايا الإقليمية، والدولية، فى نفس الوقت الذى منحت فيه الدولة كافة التسهيلات للاستثمار، والمستثمرين.

من هنا.. كانت النتيجة.. أن أصبح المناخ العالمى يزخر بالتقارير والشهادات التى تؤكد كل يوم.. أن رأس المال فى مصر يتمتع بالأمان والوطن مستقر.. ومظاهر البيروقراطية توارت إلى حد كبير.

●●●

إذن مهمة الحكومة والحال هكذا ـ ومازال الكلام للدكتور الجنزورى ـ إسراع الخطى من أجل توطين المشروعات على أرض مصر.. خصوصا وأن المؤشرات ـ والحمد لله ـ مبشرة بالخير.. وها هى بعض الأمثلة:

- مصنع للغزل والنسيج فى شرق العوينات وآخر للأسمنت فى الوادى الجديد بالاشتراك مع ماليزيا.

- مصنع للحديد الخام فى جنوب شرق أسوان مع النمسا.

- مشروعات سياحية فى خليج السويس

- مشروعات صناعية، شرق تفريعة قناة السويس.

.. ونحن لا نريد فى المرحلة القادمة.. سوى ١٥ أو عشرين مشروعاً من هذا النوع.. عندئذ نكون قد حققنا الانطلاقة الكبرى وأصبحنا «نمرا» يشار إليه بالبنان.. لأن نمور آسيا جميعها بدأت بهذه الطريقة.. والدليل أن كافة الاستثمارات سواء على أرض ماليزيا، أو سنغافورة، أو كوريا كلها أقيمت بروؤس أموال أجنبية.

●●●

د. كمال الجنزورى رئيس الوزراء.. يقول إن أصحاب المشروعات الجديدة.. هم الذين سوف يتحدثون بعد ذلك باسم مصر.. وهم الذين «سيروجون» لمناخها، وأرضها، وأمنها، واستقرارها أمام العالم.. لسبب بسيط أن المستثمر حينما يأتى إليك.. يبادر تلقائيا بالدفاع عن مصلحته التى هى مصلحتك بطبيعة الحال.

●●●

بديهى أننا حينما نرى ما يجرى أمام عيوننا اليوم.. نجد أنفسنا مطالبين بمقارنة الحاضر بالماضى.. وبالذات الماضى القريب عام ١٩٧٤ عندما بدأ الحديث عن الانفتاح ثم كان المستثمر يضطر للسفر إلى قبرص للتحدث فى التليفون.. الآن أصبح التليفون المحمول فى متناول جميع الأيادى.. وهذا أبسط فرق.

أيضاً.. فى الماضى.. لم يكن أسلوب مخاطبتنا الاقتصادية للعالم قد نضج بما فيه الكفاية.. الآن نجحنا نجاحا هائلاً فى توصيل الرسالة لكل البشر على أعلى درجة من الكفاية، والخبرة، والمعرفة.

●●●

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

من أهم سمات الرئيس مبارك التى نعرفها عنه جيدا.. أنه متفائل بطبعه.. لذا.. عندما تولى زمام قيادة هذا البلد واكتشف إلى أى مدى يبلغ حجم المشاكل، وكيف أن الخيوط متشابكة ومعقدة.. صارح الشعب بالحقيقة مطالبا.. بتكاتف الأيدى وتفاعل العقول من أجل الخروج من عنق الزجاجة فكان له ولنا ما أردنا.

ولأن المنهج لم يتغير.. فإن الإحساس بالتفاؤل يزيد، وينمو.. لتنفتح طاقات النور، والأمل أكثر وأكثر.. ولعل هذا ما جعل الدكتور كمال الجنزورى يقول لى: «أقسم بالله وأنا رجل عشت متفرغاً للعمل العام على مدى أربعين عاماً.. أشهد بأن ما تعيشه مصر حالياً لم يحدث طوال تاريخها سواء قبل الثورة أو بعدها».

وأنا شخصيا أوافق د. كمال الجنزورى على ما يقول.. بل كلنا ـ كشعب ـ نوافقه.

لا تفريط أبداً . . فى الركائز الأساسية للحكم

سوف تظل النزاهة، والطهارة، والديمقراطية، وسيادة القانون.. الركائز الأساسية للحكم مهما طال الزمن.

أبدا.. لن يفرط «حسنى مبارك».. فى مبدأ، أو قيمة أو معنى.. لأنه ـ دون تحيز أو مجاملة ـ أبو المبادىء، وأبو القيم، وأبو المعانى الأخلاقية كلها.

يكفى.. أن المواطنين جميعهم على اختلاف انتماءاتهم، وهوياتهم.. بالنسبة له سواء.. لا فرق بين صغير، أو كبير.. ثرى، أو فقير.. وزير أو غفير.. جهده مركز من أجلهم.. وعمله الدؤوب لا يتوقف فى سبيل توفير الحياة الآمنة والمستقرة لهم وللأجيال القادمة.

●●●

إن تجربتنا العملية مع مبارك منذ أن تولى زمام القيادة تؤكد.. مواجهته الحاسمة لأى انحراف.. ولكل عدوان على مصالح الشعب.. لكنه فى نفس الوقت.. لا يأخذ الناس بالشبهات.. بل لابد أن تتوفر أدلة الادانة.. حيث لا مكان للظلم فى مجتمع يسطع فيه ضوء الشمس متحديا فى قوة ويقين.. أوكار الظلام.

●●●

أيضاً.. لقد ضرب مجتمع النهضة الكبرى.. القدوة والمثل فى مواجهة الارهاب من خلال القانون الذى أصبح السيد الوحيد فى هذا البلد.. وبالتالى عجزت قوى

الضلال، والبهتان.. أن تطل برأسها.. وإن حاولت التسلل بطريقة أو بأخرى مستخدمة نفس الأساليب، والوسائل.. لكننا نؤكد.. أننا جميعاً لها بالمرصاد بعد أن انكشفت الحيل.. وسقطت الأقنعة.

●●●

على الجانب المقابل.. يكفينا فخرا.. أن مساحة الحرية والديمقراطية تزداد وتتسع، وتنمو يوماً بعد يوم نتيجة إيمان الزعيم.. بأن هذه الحرية، وتلك الديمقراطية هما صمام الأمان لكل الناس.. فما أحلى أن يمارس الإنسان حقوقه دون ضغط. وأن يعبر عما يجيش فى صدره دون أدنى قيود. وأنا لن أضيف جديداً.. إذا قلت.. إنه كم من محاولات بذلت لإطفاء الأنوار.. لكنها جميعاً باءت بالفشل.. لسبب بسيط أن الراعى الأساسى للمظلة الغالية رفض المساس بها من قريب أو من بعيد.

●●●

وبعــــد..

سوف يقوى الصرح، ويشتد عوده، وسوف تتعدد المنافذ، والأبواب التى يدخل إليها الهواء النظيف ويخرج منها أنظف، وأنظف.. لأن «حسنى مبارك» قد عاهد شعبه على أن يكون العبور دائما إلى الآفاق الأرحب، والأوسع.. وإنا به لواثقون.. ومعه نحقق بإذن الله وفضله.. الأمل المنشود.

..ونحن فى انتظار.. جوائز أخرى

مرة أخرى أؤكد أننا نحن المصريين جميعاً.. نعتز، ونفخر بحصول الرئيس مبارك على جائزة «نهرو» العالمية.. لأن هذا التقدير الدولى الهائل لرئيس مصر.. إنما هو اعتراف صريح وواضح بمكانة الزعيم، وملكاته، وقدراته الفائقة التى تمكن بفضلها ـ والحمد لله ـ من إرساء دعائم الحرية والديمقراطية وسيادة القانون فوق أرض بلده.. ثم فيما وراء حدودها.. يذود عن كرامة الإنسان.. ويبحث عن الصيغة المثلى لتقارب الشعوب بين بعضها البعض، ويعمل على تقليل الفجوة بين أثرياء هذه المعمورة وفقرائها.

●●●

لقد شدت حيثيات لجنة الخبراء، والأساتذة، والمثقفين التى قررت منح الرئيس مبارك الجائزة.. اهتمام الأوساط السياسية، والاقتصادية، والثقافية فى العالم.. لأسباب عديدة لعل أهمها:

● فكر مبارك.. الذى يستند إلى أفق واسع، وروية، وصبر.. يحظى «بجماهيرية» دولية منقطعة النظير..

● انحياز مبارك لشعبه، لاسيما المواطن العادى ودفاعه اللا محدود عن قضية العدل الاجتماعى ودعوته إلى مبدأ التدرج فى تطبيق الإصلاح الاقتصادى.. كل ذلك ساعد على أن تحتل مصر موقعا متميزا على خريطة العالم.. ومعروف بداهة أن الإقبال يتزايد على المتميزين.

● احترام الرئيس للمبادئ والقيم وعدم الكيل بمكيالين فى تعاملاته الداخلية والخارجية.. وفر له ولنا - ولاشك - رصيدا هائلاً من الثقة.

● مواجهته الشجاعة لتيارات الضلال، والبهتان، والتطرف.. أكدت عمق إيمانه بالله سبحانه وتعالى الأمر الذى انعكس تلقائيا على علاقته «السوية».. النزيهة.. المجردة عن الهوى سواء مع مواطنية أو غيرهم.

●●●

من هنا أقول - بلا غرور - إن ثمة جوائز عديدة سوف تتوالى علينا.. لأننا نستحق.. والقائد والزعيم يستحق أكثر، وأكثر.

صناعة الاجيال.. فن

لا جدال أن صناعة الأجيال فى عصر مبارك تختلف عما عداها فى عصور سابقة.. فالرئيس منذ أن تولى زمام القيادة وعيناه دائما.. على أبناء الغد..

من أجل هؤلاء الأبناء.. أقام المدن الجديدة.. وعمل بكل ما أوتى من قوة على إدخال «التكنولوجيا» ودعا إلى تصحيح وتعديل مسار العملية التعليمية، وأمر بتوفير الرعاية والخدمات الصحية فى المدن والقرى، وأنشأ الآلاف من المصانع، وأصدر تعليماته باستصلاح مئات الألوف من الأفدنة.. وفى ظل هذا الاطار كله.. كان الاصلاح الاقتصادى الذى حدد مبارك إجراءاته ، ومراحله بفكره، وعقله فى سبيل أن تجنى الأجيال الجديدة خير الثمار وأفضلها.

وقبل ذلك وبعده.. أقام الصرح الكبير.. صرح الحرية والديمقراطية إيماناً منه.. بأن اليد المرتعشة لاتبنى، ولا تشيد، ولا تحقق تقدماً، ولاتقدر على المنافسة.. وأن فكر إنسان الحاضر والمستقبل يجب ألا تقيده حدود، وألا تقف أمام انطلاقته «الحرة» أية عوائق.

●●●

من هنا.. يشهد التاريخ بأن حاملى رايات الغد الذين نشأوا، وتربوا، وكبروا فى عصر مبارك لهم من المميزات، والمقومات، والمؤهلات مالم تتوفر عند غيرهم.. وبالتالى أصبح شأنهم كبيراً فى الداخل والخارج.

●●●

لقد حرص الرئيس مبارك على أن يشارك أبناء هذه الأجيال.. طموحاتهم، وآمالهم، وهمومهم.. فذهب إليهم فى الجامعات يحاورهم، ويستمع إليهم، ويهتم بإمعان وتقدير لاقتراحاتهم، وآرائهم.

كم مرة التقى فيها الرئيس بالطلبة، والطالبات الذين استثمروا بدورهم مناخ الحرية أبلغ استثمار فتحدثوا معه حديث الأبناء، والبنات للأب الذى يعايش بواقعية وصدق نبضهم وأحاسيسهم.

وهانحن نجد الرئيس يقتطع جزءاً كبيراً من وقته رغم مشغولياته العديدة ليحضر حفلات تخريج الطلبة فى الكليات العسكرية، وكلية الشرطة باعتبار أن هؤلاء هم المدافعون عن تراب مصر، وحماة إرادتها، وحارسو أمنها.

إن هذه الأجيال التى تخرجت على يدى مبارك.. قد أقسم أبناؤها عن قناعة وبكل اخلاص - على ألا يفرطوا فى ذرة رمل من رمال مصر.. وعلى أن يكونوا متأهبين دائماً.. لكى يثبتوا للوطن، والمواطنين.. بل وللعالم بأسره.. بأن صناعة الأجيال فن لا يقدر عليه إلا من غاص فى أعماق قلوب الناس يبادلهم حباً بحب، وانتماء بانتماء.

●●●

على الجانب المقابل نحن جميعاً نعتز بما تبذله السيدة «سوزان مبارك» قرينة الرئيس من أجل وضع اللبنات الأولى للأجيال القادمة.. إذ أن مهرجانات القراءة للجميع واهتمامها بمتابعة العملية التعليمية الأساسية، وبالرعاية الصحية للطفل.. كل هذا يسهم - ولاشك - فى الاعداد الجيد لبناة الحضارة الكبرى الجديدة.

●●●

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

اللهم لاحسد.. لقد وهبنا الله سبحانه وتعالى فتية متعلمين أصحاء.. مؤمنين بربهم وبوطنهم أبلغ الايمان.. فزادهم الحق.. هدى وعلماً وانتماء.

إنهم شباب مصر.. الذين يلقى عليهم عبء الانتقال بها إلى الصفوف الأولى على خريطة العالم.

وإذا كان هذا حالهم الآن.. فنحن مطمئنون إلى أن من يليهم من أجيال سوف يتمتعون بما هو أفضل، وأوفر.

لقد عبر القائد - كعادته - إلى آفاق أوسع وأرحب.. ولم يقتصر تركيزه على ماهو قائم بالفعل.. بل اتجه ببصره إلى ماينبغى أن يكون فتولد هذا «النتاج» المثمر الخلاق الذى نتباهى به أمام العالمين.

الآن.. لا وقت نضيعه

في يوم السادس عشر من شهر اكتوبر عام ١٩٩٦ انسابت أول قطرة مياه من بحيرة ناصر إلى قناة توشكى.. وكان هذا إيذانا بدخول مصر آفاقا أوسع وأرحب.. واقتحامها عالما غير العالم الذى عاشت فيه وأهلها محصورون فى مساحة أربعة فى المائة فقط من الأرض.

منذ هذا اليوم.. اتجهت الأبصار كلها إلى وادى النيل الجديد المزمع إنشاؤه والذى وجد الرئيس مبارك أنه المنفذ الرئيسى لدخول القرن الحادى والعشرين.

«لقد قال الرئيس وقتئذ وهو على أرض «توشكى»:

لم يعد لدينا وقت نضيعه.. بل لابد من الاعداد الجيد للقرن الجيد.. وقد فتح الله سبحانه وتعالى علينا لكى ننشئ واديا جديدا موازيا لوادى النيل».

●●●

لم تكف السواعد عن العمل.. بل بدت الإرادة المصرية الصلبة فى أكمل صورها.. والجميع يتسابقون من أجل تحقيق الحلم الذى ظللنا ننتظره طويلا وطويلاً جدا.. رغم أنه لم يكن بعيدا عن أذهاننا المتقدة.

لعلنا جميعاً.. نعرف أنه منذ عهد محمد على ومصر تعيش على عشرة ملايين فدان من الأرض.. سبعة منها للزراعة وثلاثة للاسكان..! وتلك تشكل نسبة لاتزيد عن ٤ ٪ من المساحة الكلية..! فهل يمكن استمرار الوضع على ماهو عليه بعد أن تضاعف عدد السكان عشرات المرات..؟!

من هنا جاء ـ كالعادة ـ قرار الرئيس مبارك الشجاع والجرئ باقامة حضارة جديدة لاسيما وأن مقومات هذه الحضارة سبق تحديدها منذ أكثر ثلاثين عاماً.. إذ بدأ التفكير فى شق الترعة عام ١٩٦٤ ثم شاءت الظروف أن تتوقف الدراسات ومعها تلقائيا عمليات التنفيذ..!

أقول جاء قرار مبارك الجرئ والشجاع.. بالعبور العظيم.. وهانحن نرى الشواهد أمامنا تبشر بالخير.

●●●

سوف تطرح تقريبا ٥٠٠ ألف فدان على المستثمرين فى الداخل والخارج لاستصلاحها.. فى نفس الوقت الذى يتم فيه اختيار أفضل المحاصيل التى تتمشى مع المناخ والتربة..!

لقد أوشكت الدراسات الخاصة باستصلاح هذه الأفدنة.. على الانتهاء.. ومع الدراسات.. فإن تجهيز المرافق والترع الفرعية يسير على قدم وساق كما يجرى حفر الترعة الرئيسية بأسرع مايمكن تأكيدا لقول الرئيس مبارك على أنه لايوجد لدينا وقت نضيعه.

●●●

لاجدال أن الرئيس مبارك منذ أن تولى زمام قيادة هذا البلد.. وهو يقدم دائما «القدوة والمثل» فى المتابعة الميدانية.. وفى زيارات مواقع العمل والإنتاج.. ونحن نذكر أن الرئيس عندما أعطى إشارة بدء إنشاء وادى النيل الجديد.. أعلن أنه سيزور الموقع مرات ومرات.. ليكون بجانب العمال والمهندسين والخبراء.. وليشهد بنفسه.. تتابع الخطوات الواحدة تلو الأخرى.

●●●

إن سعادة مبارك تصل أقصى مداها.. وهو يرى صروح مشاريعه العملاقة ترتفع رويدا.. رويدا.. فما بالنا.. ووادى «الأمل» قد خرج من المهد ليصبح واقعا ملموساً.. يتحدى فى ثبات ويقين.. نوازع الشك والتضليل..؟؟

●●●

نحن شعب مصر نقول للقائد والزعيم.. وهو يقف من جديد على أرض المستقبل.. كلنا معك.. نبنى معك.. نشيد معك.. نفتخر بك ونحن وراءك وأنت تنطلق بنا إلى مجتمع عصرى تتوفر فيه كافة أساليب العلم، والتقدم، والرقى.

رسالة إلى الذين يخطئون فى العنوان

عرف العالم عن مصر.. تحرر إرادتها.. والاعتزاز بكرامة كل ابن من أبنائها.. والحرص على أن تكون هاماتهم مرفوعة دائما، وأبدا إلى السماء.

.. واشتهر «حسنى مبارك» بين العالمين.. بأنه الزعيم الذى لايخشى فى الحق لومة لائم.. لايفرط فى قيم.. ولا يغير مبدأ.. ولا يخضع لضغط.. وبالتالى أقبلت عليه الدنيا بأسرها.. يبادله كل من الزعماء والقادة، والشعوب.. حبا بحب، وتقديرا بتقدير، وإكبارا بإكبار.

●●●

تضمنت بعض سطور الكتاب الذى أصدرته مؤخرا بعنوان: «قال.. فصدق».. تصريحات للرئيس مبارك كانت قد نشرتها صحيفة «مايو» يقول فيها:

● أنا بطبيعتى أضع كرامة واسم بلدى وشعبى فوق كل الاعتبارات.. ولا أقبل تدخل الأجنبى.. أى أجنبى تحت وطأة أى ظرف من الظروف.

● لا يستطيع أحد أن يتدخل فى حياتنا أبدا.. نحن أصحاب القرار فى كل مايتعلق بأى أمر من أمورنا.. وقرارنا نابع من أعماقنا ووفقا لما نراه فى صالح شعب مصر.

ومرة.. أثير أن أمريكا تحدد نسب المحاصيل الزراعية فى الدول التى تمنحها مساعدات ومعونات.. وقتئذ سألت الرئيس:

هل هذا الكلام ينطبق علينا..؟؟

جاء رد القائد والزعيم:

● طبعا لا.. هذا مستحيل.. فنحن نغير المحاصيل طبقا لظروفنا.. ولقد كان فى إمكاننا تحقيق الإكتفاء الذاتى من القمح.. لكن ذلك سيكون على حساب محاصيل أخرى.. القطن، والأرز، والخضر، والفاكهة.

إنها معادلة محسوبة النسب.

أيضا.. لعلنا جميعا نذكر حكاية صندوق النقد الدولى مع الجنيه المصرى، ودعوته إلى خفض قيمته.. فإذا بالرئيس مبارك يرفض بكل إصرار، وحسم مؤكدا.. على أن قرار تخفيض الجنيه، أو زيادته.. يخص مصر ولا أحد غيرها.. ونحن نقول.. إننا ضد مبدأ التخفيض تماماً.

وأمثلة أخرى كثيرة، وعديدة.. شملت مختلف مجالات الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية.

●●●

من هنا فإن أعضاء الكونجرس الأمريكى يخطئون كثيرا هذه الأيام فى العنوان.. لأنهم جميعاً على بينة من «هوية مصر».. ويعلمون تمام العلم شخصية الرئيس مبارك.. ورغم ذلك نجد أن تصرفاتهم تأتى مغايرة لما يقضى به المنطق والواقع.

طبعا.. نحن نلتمس لهم العذر.. لأننا نقدر الظروف التى تحيط بهم.. ونعرف إلى أى مدى تصل حدود ضغط اللوبى الصهيونى.. لكننا فى ذات الوقت.. نذكرهم بأن مصر هى التى تقود سفينة الحرية فى الدول النامية.. تحمى حقوق الإنسان فى كل زمان، ومكان.. تذود بكل ما أوتيت من قوة.. عن مصالح الجماهير إيمانا منها.. بأن هذه الجماهير هى صانعة الحاضر، والمستقبل.. وهى التى تملك دون غيرها.. مفاتيح التقدم، والنمو، والازدهار.

مصر ـ كما تعرف كافة القوى السياسية فى أمريكا ـ هى التى تحمى حصون السلام، وترفع قلاع العدل، والمساواة فوق أى أرض تكون وسواء صغرت مساحتها أم كبرت.

●●●

لهذه الأسباب مجتمعة.. نعود لنؤكد.. إننا لانفعل إلا ما نؤمن به، وأبدا لن نسلك سلوكا يتنافى مع ما آمنا به.. ونرفض بكل إباء وشمم أن يتجرأ كائن من كان على التدخل فى شئوننا.

إننا ياسادة.. على اختلاف انتماءاتنا، ومذاهبنا، واتجاهاتنا.. «موقف» والموقف رجل.. ومصر كلها رجل واحد.. بقيادة أغلى الرجال، وأعزهم، وأشجعهم «حسنى مبارك».

العالم يفور.. ومصر ثابتة

العالم حاليا.. يموج بتيارات عاتية.. أفريقيا تشهد يوميا نزاعات، وصراعات، وحمامات دم.. وآسيا تتمرد على الأوضاع القائمة حيث لاترضى معظم دولها بما هى فيه أو عليه.. وأوروبا تبذل المستحيل للتحرر من الأسر الأمريكى.. بينما الولايات المتحدة ذاتها تعانى من هزات سياسية، واقتصادية، واجتماعية عنيفة..!

●●●

لاجدال.. أن مصر ليست بعيدة عن ذلك كله.. فهى جزء من هذا العالم الكبير، والصغير.. فى آن واحد.. تتأثر بما يجرى فى أى طرف من أطرافه لكن مايستحق الاهتمام.. أو بالأحرى الاعتزاز.. أنها حريصة على التمسك بمبادئها.. لاتفرط فى قيمة، أو ظرف من الظروف عن سياسة انتهجتها.. أو سلوك سارت عليه.

●●●

الأمثلة كثيرة ومتنوعة.. ولنبدأ بقضية السلام.. فهل توارت مصر.. أو تكاسلت.. أو فقدت الأمل رغم كل ما يصاحب هذه القضية الآن من عقبات، وصعاب..؟!

طبعا لا.. لسبب بسيط.. أن مصر أمنت منذ الوهلة الأولى.. بأن السلام خيار استراتيجى لا بديل عنه.. من أجل أن يسود الاستقرار، والأمن منطقة الشرق الأوسط كلها لكى تتفرغ شعوبه لتنفيذ خطط التنمية الطموحة.

أيضا.. هل كفت مصر عن تقديم الدعم، والمساندة لأبناء القارة السوداء..؟؟

بالعكس.. إنها تقف إلى جوارهم مؤكدة للعالمين.. ضرورة أن يتمتع الإنسان الأفريقى بكافة حقوقه.. وأن يرتفع مستوى معيشته.. وأن يتم تسديد ديونه.. وأن ينزع فتيل الخلاف العرقى بشتى السبل والوسائل.

●●●

بالنسبة لأزمة كأزمة «لوكيربى».. ألا نجد القاهرة دائما ساعية لإيجاد حل لتلك الأزمة التى طال أمدها من أجل صالح الشعب الليبى الشقيق الذى تربطنا به علاقات قوية ومتينة منذ قديم الأزل.. وهانحن رأينا الرئيس مبارك يتوجه للقاء العقيد القذافى ويطالب من هناك بضرورة إيجاد مخرج من خلال اقتراحات يوافق عليها الشعب الليبى.

وبديهى أن موقف القاهرة فى هذا الصدد لم يتغير منذ نشوب الأزمة.. حتى الآن.

●●●

نفس الحال فيما يتعلق بالأوضاع فى العراق.. وكيف أن الرئيس مبارك منذ اشتعال أزمة الخليج.. وهو يؤكد دوما أنه وشعب مصر ضد مبدأ التقسيم، ولابد من المحافظة على وحدة الأراضى العراقية.. وينادى برفع المعاناة عن أبناء الشعب الشقيق.

إن المتتبع للأحداث لايمكن إلا أن يقر، ويعترف.. بأن موقف الرئيس مبارك ثابت منذ البداية لم يتغير قيد أنملة.

●●●

و.. و.. حينما أصدر مجلس النواب الأمريكى قراره باعتبار القدس عاصمة موحدة لإسرائيل.. هل صمتت مصر؟

أبدا.. لقد أبدت اعتراضها بل واستياءها.. لأن مصر تعرف تماماً ماذا تمثل القدس بالنسبة للمسلمين والمسيحيين فى شتى بقاع الأرض.

●●●

على أى حال.. أن التغيير من طبيعة الحياة.. ولايمكن أن تتوقف الدنيا عند زاوية محددة فقط.. لكن يكفينا.. أن القاهرة تبقى نقطة الارتكاز دائما.. وتظل صوت الحق الذى يرفض المساومات، والمزايدات.

إنها تراث الماضى.. ويقظة الحاضر.. ورؤية المستقبل الثاقبة.

نعم.. أنت بحق.. أيوب العرب

إذا كانت مصر.. تذكر بالفضل للرئيس مبارك.. اقتحامه الجرئ للمشاكل الصعبة.. وأولها «البنية الأساسية» التى لم تمتد لها يد الإصلاح على مدى نصف قرن من الزمان وأكثر.. فإن الشعوب العربية جميعا تقدر فى مبارك.. طول صبره، وقوة تحمله، وإصراره على إنهاء عملية السلام بما يحقق الأمن والاستقرار لكل فرد من أفرادها.

●●●

لقد أدرك الرئيس.. أن أى محاولات لإعادة بناء مصر الحديثة لاتجدى.. بدون شبكات متطورة للتليفونات، والمياه، والصرف الصحى، ومحطات عملاقة للكهرباء.. وطرق مرصوفة على أعلى مستوى.. فما كان منه إلا أن وجه الجهود كلها من أجل تجديد تلك البنية الأساسية بصرف النظر عما تحتاجه من اعتمادات مالية.. فكانت النتيجة أن حدثت الطفرة المأمولة وأحس المواطن المصرى لأول مرة أنه يعيش كريما على أرضه ينال ما يستحقه من عناية، وتقدير.. فى نفس الوقت الذى تدفقت فيه رؤوس الأموال إلى مصر.. لتتعدد المشروعات الاستثمارية وتتنوع فى شتى أنحاء المدن الجديدة التى تم إنشاؤها.

●●●

الحال لايختلف كثيرا بالنسبة «للسلام» الذى يوقن الرئيس مبارك.. أنه والتنمية «صنوان».. فكان سعيه الحثيث لإرساء قواعده.. وفقا لمقتضيات الحق، والعدل.

ربما.. الظروف هنا.. أشد صعوبة.. لكن من أهم سمات الرئيس مبارك أنه متفائل بطبعه.. يكد، ويتعب وهو يعلم مسبقاً بأن الله سبحانه وتعالى سوف يكلل عمله بالنجاح.. ولعل هذا سر تحركه الآن لإنقاذ السلام.

نعم لقد توقفت المسيرة بعد وصول بنيامين نتنياهو إلى مقعد السلطة فى إسرائيل.. وكادت جميع الأضواء تنطفئ.. فما كان من الرئيس إلا أن أمسك من جديد بمصباح الأمل.. عسى أن تتلاقى الآراء.. وتختفى الألغام من الطريق.

●●●

من هنا.. فإنى أتفق مع بعض الصحف العربية التى أطلقت على الرئيس مبارك صفة «أيوب العرب»..لأنه كلما تأزمت الأمور تقدم الصفوف وأخذ يبحث عن وسائل جديدة يمكن أن تقود للهدف المنشود.

مثلاً.. من كان يتوقع أن يعقد مثل هذا اللقاء.. فى شرم الشيخ.. بينه وبين بنيامين نتنياهو إلا لأن الرئيس حرص على التمسك بكل ذرة أمل فى الوقت الذى نبه فيه وحذر من مغبة.. انفراط العقد.. والعودة إلى نقطة البداية..؟!

●●●

نعم سيادة الرئيس.. أنت «أيوب العرب».. بكل ما تحمله الكلمة من معنى.. ولعل صبرك هذا يرجع إلى أنك تتوق دوما.. لكى ترى أمتك الكبيرة.. وقد ازدهرت أرجاؤها بنخيل وأعناب الخير، والأمن، والاستقرار.. وبالتالى لاتتوقف المحاولات من جانبك.. حتى تحقق ماتبتغيه.

أيضا.. أنت تعرف ـ ربما أكثر من غيرك ـ حجم ماتخلفه الحروب من مآس، ودمار.. كما أنك تدرى تماما.. ماذا تساوى قيمة السلام.. لذا فأنت تتصرف، وتحلل، وتقيم فى إطار تلك الثوابت.. وهذه الأساسيات.

●●●

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

تشاء الأقدار.. أن يكون بين الأمم واحد حباه الله بمقومات، وطاقات، وملكات عديدة.. يلهمه سبحانه وتعالى لكى يستثمرها أفضل استثمار من أجل صالح المجموع.. حتى تستمر الحياة.. وميزة أمتنا أنها وثقت فى حسنى مبارك، فبادلته مودة بمودة، وأخلاصا بإخلاص.. فاستمر ضوء الشمس ساطعاً لايجرؤ كائن من كان على حجبه أبداً.

إنها إرادة الحق.. الذى هو نعم المولى، ونعم النصير.

إيها القرن الجديد.. مصر "القوية".. فى انتظارك

القـرن الجـديد.. يزحف على البشرية بخطوات سريعة.. وكـأنه قد مل من الانتظار الطويل الذى استغرق مائة عام كاملة.

ولأن هذا القرن يحمل العنوان الرئيسى (٢٠٠٠).. فقد أخذ يبعث مبكرا بالرسائل، والمؤشرات التى يحاول من خلالها التأكيد على أن النقلة سوف تكون هائلة.. والتغيير كبيرا.

●●●

من هنا.. فالمجتمعات التى حبا الله سبحانه وتعالى أبناءها بنعمة الذكاء.. والتى خاضت من قبل تجارب عديدة ساعدتها على إثبات كيانها.. هذه المجتمعات هى التى بدأت تستعد استعداداً جيداً.. لاستقبال القرن الجديد.. حيث أخذت تعد لاستثمار إمكاناتها، وطاقاتها، وملكاتها بما يتلاءم مع ألوان الحضارة الجديدة.. ومع شتى أنواع التقدم التى لابد وأنها سوف تختلف اختلافاً جذريا عن ذى قبل.. فى نفس الوقت الذى حرصت فيه على شحذهمم «الإنسان» الذى تعلق عليه الآمال الكبار.. إلى جانب التنقيب المستمر عن مصادر، وينابيع غير تقليدية.. تفيض بالخير، وتوفر فرصا.. أفضل، وأفضل.

●●●

بلا مجاملة.. ودون تحيز.. يمكن القول إن مصر كانت أسبق مجتمعات الدنيا فى وضع الاستعدادات القوية، والمتينة لاستقبال القرن الحادى والعشرين.. إيمانا

منها.. بأن اللغة الوحيدة التى لن يعترف هذا القرن بسواها.. هى لغة القوة.. القوة العسكرية، والسياسية، والاقتصادية، والعلمية، والثقافية.. ولكى يجيد المجتمع بمختلف أفراده، وفئاته، وطوائفه هذه اللغة الجديدة.. لابد أن يوفر لنفسه وبنفسه.. أمضى الأسلحة، وأكثرها فعالية.

●●●

كعادته.. رسم الرئيس مبارك فى ذهنه.. الملامح الأساسية لصورة القرن القادم.. وهو الذى اتخذ من «التخطيط» وسيلة وغاية معاً... ووجد الرئيس.. أنه لامناص من أن تخرج مصر إلى آفاق أوسع وأرحب.. حتى يتحقق لها عنصر «القوة».

اتجه الرئيس بفكره الثاقب إلى سيناء وإلى جنوب الوادى.. يقيم مجتمعات صناعية، وزراعية، لينشئ حضارة جديدة بكل المقاييس.. قوامها الأساسى.. الإنسان المصرى.

وقرر الرئيس منح تسهيلات واسعة للاستثمار، والمستثمرين تشجيعا لإقامة العديد من المشروعات الانتاجية على أرض الوطن.

وأعطى الرئيس توجيهاته.. للنهوض بالتعليم، وبالصحة بهدف خلق أجيال من المتعلمين.. الأصحاء.

ودافع الرئيس إلى أقصى مدى عن «السلام» حتى تجد خطط التنمية.. الأرضية الخصبة.. والمناخ الملائم.

وفتح مبارك قلبه للأشقاء العرب، وزعماء الشرق والغرب.. مؤكدا على المبادئ التى أقامت مصر على أساسها سياستها الخارجية ولعل أهمها.. احترام ارادة الغير وعدم التدخل فى شئونهم.. الذود عن حقوق الإنسان.. دعم الأمن، والاستقرار.. إعادة صياغة العلاقة بين الشمال، والجنوب.. دعم عرى التعاون والإخاء بين الجنوب والجنوب.

على الجانب المقابل.. قضت توجيهات الرئيس الدائمة والمستمرة.. بتوفير كافة احتياجات القوات المسلحة.. لكي يبقى أفرادها دائما على أعلى قدر من الكفاءة والاستعداد وتساير معداتها وآلاتها أحدث تطورات العصر.

●●●

وفي النهاية.. تبقى كلمة:

إذا كان القرن الجديد.. واثقا بأنه سوف يختلف عما سبقه.. فنحن نقول له.. إن انطلاقة مصر.. لن تحدها ـ بإذن الله ـ قيود، أو عقبات.. لأنها تعرف الطريق جيدا.. طريق العمل الجاد، والثبات على المبدأ، والانحياز للحق، والعدل.. وهذا يكفينا.

عواجيز الفرح

هكذا بدأت التجربة تأخذ طريقها إلى التطبيق العملى.. وأصبح حلم الثلاثين عاماً الماضية.. واقعاً ملموساً.. وأكد عصر مبارك للجماهير - كما يؤكد دوما - أنه عصر الأفعال لا الأقوال.. عصر العلم، والتخطيط، واستيعاب أساليب العصر.

●●●

الرئيس مبارك وهو يتفقد مشروع جنوب الوادى.. يشهد ومعه كل المصريين التطورات الهائلة التى صاحبت إنشاء المشروع منذ الإعلان عنه حتى اليوم.

إن الحركة لاتهدأ.. وجميع الأجهزة تعمل فى نشاط، ودأب.. الصخور تتفجر.. وأرض الصحراء الشاسعة تبتسم فى تفاؤل.. والسماء تصفو.. انتظارا لوصول المياه التى بفضلها سوف تدب الحياة فى المكان الذى تم اختياره بدقة، وعناية، ودراسة متأنية.

●●●

من هنا أقول.. «لعواجيز الفرح» الذين يلتهمون الطعام. ثم يعترضون على طريقة إعداده.. إنكم لن تغلقوا طاقات الأمل.

أبدا.. لن تغلقوا طاقات الأمل.. ولن تئدوا الفرحة فى النفوس.. ولن توقفوا مسيرة الخير.. لأن الهدف غال، وعزيز.. إنه الإنسان المصرى الذى ظل منذ فجر

التاريخ يعيش داخل شريط ضيق من الأرض.. ثم قرر أن يخرج إلى عالم النور.. يقتحم حاجز الصوت لينهل من ثروات بلده التي وهبه الله إياها والتي لم يستفد بها.. حتى جاء «القائد» الذي أخذ على عاتقه.. تحقيق الانطلاقة الكبرى.

جاء «حسني مبارك».. يعمق جذور الانتماء في القلوب، ويدعو إلى التكاتف، والتآزر، ويعبر بالشعب، السواتر، والحواجز، والجسور.. حاملا أسلحة التحدي، واليقين، والإيمان بالله، وبالوطن.

●●●

إن «عواجيز الفرح» الذين يروجون لإحصائيات كاذبة، وتقارير زائفة، ويزعمون بأن تكاليف مشروعات توشكي.. باهظة.. هؤلاء لن نطالبهم بشئ.. سوى أن يتعلموا، ويدرسوا، و.. ويتجردوا من الهوى الشخصي.

عندئذ سيؤمنون.. بأن بقايا عصور «النظر القصير».. قد ولت إلى غير رجعة.. ولن يكون لها وجود في حياتنا الجديدة.

الإنسان المصرى وداعاً . . للضيق والاختناق

أمامنا.. أكثر من نصف مساحة مصر.. «خاوية على عروشها».. دون أن تفكر حكومة واحدة من حكومات ما قبل الثورة أو بعدها.. فى أن توجه نظرها إلى هناك إلى جنوب الوادى.. صعيد الآباء والأحفاد.. الذى يزخر بالإصالة، والقيم، والخير.

للأسف.. اكتفينا ــ على مدى سنوات طويلة من حياتنا ـ بأن نجعل من أبناء الصعيد.. مادة للتهكم، والنكات.. تطوينا عجلة الزمن.. ونحن نكتفى بهذا الشريط الضيق فى الوادى.. نستنزف أراضيه، وموارده، وينابيعه راضين بذلك المستوى المتواضع من المعيشة.. تحول بيننا.. وبين طموحات الغد.. عادات قديمة قدم الازل.. وفكر جامد مغلق.. ونهج اتكالى توارثناه جيلا عن جيل..!

●●●

ثم.. ثم.. ثم جاء «حسنى مبارك».. ليلقى من وراء ظهره، وظهورنا.. بآثار الماضى العتيد،، متجها بثقة، وأمل، وتفاؤل إلى المستقبل.. لكن السؤال:

كيف يتم صناعة المستقبل.. من خلال أدوات تقليدية.. خاصمت كل ماهو جديد ومتطور..؟! الرئيس.. أجاب بنفسه على السؤال.. وأعلن أنه سيتجه إلى جنوب الوادى.. متزودا.. بسلاح العقل، والإيمان، والعمل.

قال مبارك:

● مادمنا قد نجحنا فى إعادة تجديد البنية الأساسية تجديدا شاملاً.. وهى التى لم يسبق أن امتدت لها يد طوال قرن كامل من الزمن.. فما الذى يعوقنا عن تحقيق انطلاقه جديدة تغير وجه الحياة على أرض الوطن.؟!

●●●

بالفعل.. انطلق «الزعيم».. ومعه كل أبناء شعبه إلى منطقة توشكى.. يشقون قناة جديدة.. قناة تتفجر منها المياه.. لنبنى على ضفافها، ونعمر، ونشيد.. لانبخل بالجهد، أو المال.. أو العطاء.. طالما أن المنافذ التى نطل بها على الدنيا.. سوف تكون شديدة الاتساع.. متعددة الفتحات.

نعم.. إنها منافذ من نوع «خاص» لم نتعوده من قبل.. لأن قواعدها تقام على ٥٨ فى المائة من مساحة مصر الكلية..!!

انظروا.. ماذا يمكن أن يجرى.. بعد خمس أو عشر سنوات.. من بداية تشغيل «نهر النيل الجديد» .

بديهى.. سوف يظهر مجتمع عمرانى من طراز مختلف.. مجتمع لايشعر فرد من أفراده بالضيق.. أو بالاختناق.. مجتمع ترفرف فوق أرضه.. أعلام النماء والازدهار.

●●●

لقد عبر الرئيس مبارك بفكره.. إلى عالم الأمن والاستقرار.. فنجح فى أن يحمى مال، وممتلكات، وعرض الأبناء والبنات.. واتجه بنفاذ بصيرته إلى سيناء.. فانشأ ترعة السلام.. لتتحول الصحراء إلى وديان خضراء.. ثم وقع اختياره على جنوب الوادى ليثبت للعالمين أن الإنسان المصرى إذا أراد فعل... ولا شئ فى هذه الدنيا اسمه «مستحيل».. مادامت قد توفرت فى الأعماق الإرادة الحرة والعزيمة التى لاتلين، والإيمان الثابت الذى لن يتزعزع أبدا بإذن الله.

●●●

.. و..و ولنبدأ معا مسيرة الخير، والأمل.. مسيرة الواجب والتفاؤل.. مسيرة المجد، والسؤدد التى يقودها بتفان، وتضحية، وإيثار.. «محمد حسنى مبارك».

عصر.. غير مسبوق

نجح الرئيس مبارك ـ باعتراف الجميع ـ فى وضع صيغة للعلاقات العربية ـ العربية كانت تفتقدها الأمة منذ زمن طويل.

بدأ الرئيس أولا.. بعلاقة مصر وشقيقاتها العربيات التى أقامها على أسس قوية وواضحة، وثابتة.. لتبقى بعد ذلك المثل، والهدف معاً.

●●●

الاخوة فى المملكة العربية السعودية يتباهون بـ «حسنى مبارك» زعيما، وقائدا.. يحرص أبلغ الحرص على مصالح شعبه، وبقية شعوب المنطقة.. لايفرط أبدا فى حق.. يتسم بأنه عف اللسان.. ثاقب الرؤية.. يحترم إرادة الغير.. يكرس كل وقته وجهده للنهوض بشعبه.

من هنا.. يرى الاخوة السعوديون.. أن مايقوله الرئيس مبارك، ويفعله لابد أن يكون موضع ثقة، واعتبار، وتقدير، واحترام.. فكانت النتيجة.. أن التقى العرب ـ كل العرب ـ لأول مرة فى قمة شهد لها بالتنظيم الجيد، والاعداد المتميز.. فعكست موقفا موحدا.. شد انتباه الشرق والغرب.. وجعل إسرائيل بالذات توقن.. بأن اليوم مختلف تمام الاختلاف عن الأمس.

●●●

الاخوة فى المملكة السعودية أيضا.. يجدون فى الرئيس مبارك الصدق بأجلى معانيه، والصراحة بكافة مقوماتها.. الصدق مع الله، ومع النفس، ومع الشعب..

والصراحة التى تستند إلى عزيمة لاتلين، ويقين لايتزعزع.. وبالتالى لايكون هناك مجال لنوازع شك.. أو سوء قصد.. فتتكتل الجهود لما يحقق الخير، ويوفر الأمن، ويدعم صروح الاستقرار فى شتى أرجاء المنطقة.

●●●

نفس الحال بالنسبة لدولة الامارات العربية المتحدة.. يصفون الرئيس مبارك.. بأنه الحق كله.. والحكمة كلها.. والمبدأ الذى لايتغير تحت وطأة أى ظرف من الظروف.

لقد أدت الثقة المتبادلة بين القاهرة، وأبو ظبى.. إلى إتساق تام فى المواقف، والسياسات.. فالاثنتان - ولاشك - تتحدثان الآن شأنهما شأن جميع العرب لغة واحدة بالنسبة لمسيرة السلام فى الشرق الأوسط مؤكدتين على ضرورة تنفيذ الاتفاقات والمعاهدات التى سبق إبرامها، وعدم التنازل بحال من الأحوال عن مبدأ الأرض مقابل السلام.

على الوجه المقابل فإن دولة الامارات العربية تعتز، وتشيد بموقف مصر من قضية احتلال إيران لجزرها الثلاث طنب الكبرى، وطنب الصغرى، وأبو موسى.. التى تطالب فى إصرار بضرورة الجلاء عن هذه الجزر، وعدم فرض الأمر الواقع.. إيمانا من مصر.. بأنه لاتفريط أبدا فى حبة رمل عربية واحدة.

●●●

الرئيس مبارك - والحق يقال - بدأ العمل فى تنقية الاجواء العربية منذ سنوات عدة مضت.. وهو خلال تحركاته لم يفرش الأرض بالورود، ولم يوزع الوعود يمينا، وشمالا.. بل آثر أن ينبه إلى أن الطريق صعب، والمهمة ثقيلة.. ولعل هذا ماحدا به إلى تشجيع كل تجمع ثنائى، أو ثلاثى، أو رباعى أو أكثر ينشأ بين دول المنطقة على اعتبار.. أن ذلك هو الذى يقود إلى الوحدة الكاملة إن شاء الله.

●●●

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

ما أحلى.. أن تجد صوت وطنك مسموعاً بين العالمين.

وما أسعدك.. وأنت ترى «الرمز».. رمزا بكل معانى الكلمة.. يشار إليه بالبنان.

وما أروع.. أن تسمع من الأشقاء والجيران.. بأنك تعيش عصرا غير مسبوق فى التاريخ.

انها ـ ولاشك ـ شعاعات ضوء.. تجذب إليها الحب، والنماء، والازدهار، والأمل، والتفاؤل.. وتلك المكونات الأساسية للمجتمع المصرى الجديد.. الذى يقوده ببراعة واقتدار «حسنى مبارك».

طرفان .. فى معادلة واحدة

أهم ما يضفى الطمأنينه فى قلب المواطن - أى مواطن - أن يستيقظ من نومه فى الصباح.. فلا يفاجأ بقرارات «فوقية».. لم يكن يتوقعها .. كأن ترتفع أسعار السلع والخدمات مثلاً دون سابق انذار.

طبعا.. نحن نعترف بأن ذلك طالما حدث خلال فترة زمنية معينة لاسيما قبل الإصلاح الاقتصادى، وأثناء مراحله الأولى.. حتى أصدر الرئيس مبارك قراراته الحاسمة بعدم تحميل الناس أية أعباء، أو ضرائب جديدة.

لقد أجرينا هذا الإصلاح من أجل تحقيق الخير، والرفاهية للجميع.. وبالتالى فلابد أن يجنى الثمار كل إنسان يعيش على أرض هذا البلد

●●●

نعم الثمار نضجت، وتفتحت منذ سنوات عدة بتجديد البنية الاساسية وما أسفرت عنه من القضاء نهائيا على مشاكل التليفونات، وانقطاع التيار الكهربائى وانفجار مواسير المياه والصرف الصحى، وقلة عدد الطرق.. ثم قضت توجيهات الرئيس أيضا بضرورة تحقيق الأمن والاستقرار.. فى حياة المواطن المعيشية .. خصوصا محدود الدخل الذى يكفيه دخله بالكاد.

●●●

كلنا نعلم.. بأن الرئيس مبارك على بينة كاملة من دقائق، وتفصيلات الأشياء.. يعرف - باعتباره واحدا منا - كم تبلغ نفقات الأسرة متوسطة العدد.. ولعل هذا سر

دعوته الدائمة، والمستمرة لتنظيم النسل.. كما أن معدلات مرتبات موظفى الحكومة يحفظها عن ظهر قلب.. لأنها تمثل بندا مهما من ميزانية الدولة.. نفس الحال بالنسبة للعاملين فى قطاع الأعمال.

أما الفلاحون، والعمال، وأصحاب النشاطات الاقتصادية المحدودة.. فهم شغل الرئيس الشاغل.. حيث يريدهم أن يكونوا دائما فى مقدمة الصفوف مقارنة بنظرائهم فى أكثر دول العالم تقدما.

●●●

من هنا .. أخذت حكومة الحزب الوطنى «حزب الأغلبية» على عاتقها عدم فرض أية رسوم أو ضرائب جديدة.. بل إنها تقوم حاليا بإلغاء بعض تلك الرسوم والضرائب تخفيفا عن كاهل الجماهير.

●●●

يوم افتتاح المرحلة الأولى من ترعة السلام.. قلت للرئيس مبارك وقد كان بجواره د.كمال الجنزورى رئيس الوزراء:

● واضح أنه لولا «التخطيط» الذى أمنت به، واتخذته سلاحاً للعمل، والبناء منذ أن توليت زمام القيادة.. ما ارتفعت مثل تلك الصروح العملاقة فى شتى أرجاء الوطن.

رد الرئيس:

■ كل شيء عندنا يتم وفق خطة محددة المعالم، والبنود.. نفذنا ثلاث خطط اقتصادية، واجتماعية.. لندخل فى الخطة الرابعة.. وفى كل مرة نجرى مراجعة دقيقة لما أنجزناه.. والحمد لله تسير الأمور على ما يرام.. السواعد تبنى .. والعقول تفكر.. ثم.. ثم العيون ترى باعزاز، وافتخار.

و.. و .. ويبتسم د. كمال الجنزورى الذى نبغ، وتفوق.. فى مجال التخطيط فى نفس الوقت الذى استطاع أن يستوعب فكر الرئيس خير ما يكون الاستيعاب.

●●●

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

زمان .. كانوا يقولون: «الحكومة تعطى بيد.. ثم تأخذ باليد الأخرى» الآن تغيرت الأحوال، واختلفت المقولات .. لأن الحكومة، والناس باتوا مقتنعين.. بأنهما طرفان فى معادلة واحدة.. مصلحتهما مشتركة.. وتعاونهما واجب وضرورى .. ومادامت الحكومة صادقة فيما تقول، وتفعل.. فلابد أن تحظى بالتقدير، والإشادة.

طراز. مختلف

إن وجه الحياة فى مصر .. يتغير.. تلك حقيقة لم تعد تقبل الجدل أو المناقشة.

الاقتصاد - والحمد لله - يتقدم خطوات، وخطوات إلى الامام.. فرص العمل تزيد مع طلعة كل صباح.. مستوى معيشة الناس يرتفع.. بعد انخفاض معدلات التضخم، وزيادة نسبة النمو.

كل ذلك ..لم يكن من السهل تحقيقه لولا أن الرئيس مبارك وضع يده على بيت الداء منذ أن تولى زمام القيادة عام ١٩٨١.

لقد أعلن الرئيس وقتئذ.. اننا جميعا مشاركون فى المسئولية واجبنا أن نعمل، ونجتهد، ونتحرر من سلبيات الماضى.. وسوف يكون النجاح حليفنا بفضل الله، وتوفيقه. وقد كان.

●●●

نعم.. تحملنا، وصبرنا، وتعبنا ولم نتمرد على واقعنا.. فنضجت الثمار فى توقيتها المناسب دون تباطؤ أو تأجيل.

هذا الكلام ليس من نبت خيالنا. بل تقره، وتعترف به.. الدنيا كلها.. من أقصاها إلى أدناها.. دون مجاملة، وبلا تحيز.

خلال المسيرة الصعبة.. تعرضت السفينة لأنواء، وعواصف.. فلم نهن، ولم نضعف..ولم نخضع، أو نستسلم.. وأنى يكون ذلك.. والربان يعرف جيدا حق قدره، وقدر بنى وطنه..؟!

فجأة.. ظهر فى طريقنا «الارهاب اللعين».. فوقفنا كلنا.. رجلا واحدا نواجهه بأقوى الأسلحة .. أسلحة الإيمان، والحق، واليقين.

أراد البعض يوما.. أن يحرض الحاكم ضد المحكومين.. ناصحا فى خبث باطفاء أنوار الحرية، والديمقراطية.. فما كان من الحاكم إلا أن رفض هذه النصائح «الساذجة» .. مؤكدا أن الديمقراطية لا تزدهر إلا بمزيد من الديمقراطية.

●●●

وحاول آخرون توجيه دفة الاصلاح الاقتصادى بما يتلاءم ومصالحهم.. فاعلنها القائد بكل جرأة.. أن برامج الإصلاح لابد وأن تبقى صناعة مصرية مائة فى المائة.. وبالفعل رفضنا تخفيض قيمة الجنيه، وحافظنا على مكاسب العمال، وتعاملنا مع «الخصخصة» بعقلانية، وعلم، وروية، وحكمة.

●●●

وفرنا جميع التسهيلات للمستثمرين.. فطلع علينا من يقول: «إنهم سيبيعون البلد».. ولأن الحكم لا يعرف سوى الطهارة، والنزاهة.. فقد مضى فى طريقه لا يتردد فى دعم الاستثمار.. وزيادة رقعته على أرض مصر..حتى أصبحت أرضها - بحق - قبلة أصحاب الطموحات الكبيرة يأتون إليها وهم آمنون.. مطمئنون.

●●●

ثم ..ثم.. جاء المؤتمر الاقتصادى .. ليثبت أن القاهرة تختلف عن كازيلانكا، كما أنها ليست مثل عمان.. لا لشيء .. إلا لأن التجربة العملية عكست الدلائل، والبراهين.

هذا الحشد الهائل.. لم يشهده المؤتمران السابقان المماثلان .. تلك العقود والصفقات التى بلغت ١١ مليار دولار قابلة للزيادة أضعافا، وأضعافا.. لم تجد من قبل المناخ الذى شجعها على هذا الاقدام المحسوب.

هذه الأفكار التى طرحت داخل قاعات المؤتمر، وورش العمل التى انصهرت فيها الآمال، والطموحات.. لم تعبر .. إلا عن شىء واحد.. هو أن مصر من طراز مختلف.

فليطمئن أصحاب الدخل المحدود

فليطمئن كل مواطن من أصحاب الدخل المحدود على يومه وغده.. كما اطمأن على حياته كلها منذ أن تولى الرئيس مبارك زمام القيادة فى مصر.

توجيهات الرئيس الدائمة للحكومة تقضى بعدم فرض أية ضرائب جديدة، والتخفيف من عبء الرسوم الإضافية، وغير الإضافية كما حدث بالنسبة لفاتورة الكهرباء حتى مائة كيلو وات، وإلغاء ضريبة العاملين فى الخارج، وتعديل بعض أحكام قانون التمغة.. وغيرها، وغيرها.. حتى يلمس الجميع.. أن الإصلاح الاقتصادى، قد أتى ثماره وحقق الأهداف الكبار التى خطط لها، وسعى إليها الرئيس مبارك.

●●●

نعم.. نحن نقر ونعترف. بأنه لولا الإصلاح.. ما تجددت البنية الأساسية لشتى المرافق على اختلاف أنواعها، وما استصلحنا عشرات الألوف من الأفدنة، وما أقمنا الوحدات السكنية.. بل ما كان فى مقدورنا أصلاً الحصول على طعامنا الأساسى.. لكن فى نفس الوقت.. لقد أخذت النتائج المبشرة تهل علينا .. مع إشراقة شمس كل صباح.

●●●

لقد بدأنا نستشعر حلاوة المذاق.. وندرك فى أعماقنا.. بأننا حينما آلينا على أنفسنا.. أن نتحمل، وأن نصبر.. فقد كنا نمهد الطريق للانطلاقة الكبرى.. التى تلوح الآن بشائرها فى الأفق.

●●●

تعالوا معاً.. نستعرض ما نشرته صحيفة «ليبر اسيون الفرنسية» عن أحوال الشعب المصرى الذى يخطو خطوات جادة ومتفائلة نحو القرن الحادى والعشرين:

● لقد نجح هذا الشعب فى احتواء غول التضخم .. وتمكن من خفض نسبته إلى ٧٪.. بينما يبلغ العجز فى الموازانة أقل من ١,٣ فى المائة من إجمالى الناتج القومى.. وتلك أرقام تدعو للتقدير، والفخار معاً.

● نسبة النمو فى اطراد مستمر.. ومن المتوقع أن تصل قريباً إلى ٣,٢٥٪ أى أنها سوف تتخطى معدلات الزيادة السكانية التى تقدر بـ ٢,١ ٪

● الخزائن المصرية باتت مليئة بالجنيهات المصرية، والدولارات.. مما يتيح الفرصة لإقامة مشروعات جديدة وإيجاد وظائف للشباب.. ولعل أبلغ دليل.. اعتذار مصر عن قبول القرض الذى قرره صندوق النقد الدولى لمصر والذى تبلغ قيمته ٣٩١ مليون دولار.. نظراً لوجود احتياطى هائل لديها يبلغ ١٨ ملياراً.

● ثبات قيمة الجنيه المصرى أمام الدولار.. رغم سطوة هذا الدولار، وجبروته اللذين بلغا ذروتهما فى بلاد أخرى.. على رأسها روسيا الإتحادية.

●●●

هذا ما قالته صحيفة أجنبية.. لا تعرف التحيز، أو المجاملة .. بل لقد آثرت أن تنشر الحقائق كاملة.. وهى حقائق لم تعد خافية على المجتمع الدولى الذى ينظر إلى مصر باعتبارها قوة اقتصادية ثابتة الأركان، والدعائم.. يستحيل تعرضها لهزات مفاجئة تحت وطأة أى ظرف من الظروف.

●●●

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

لقد كان الرئيس مبارك ـ كعادته دائماً ـ ثاقب الرؤية.. عندما ركز جل همه على إصلاح الاقتصاد .. من أجل توفير الحياة الكريمة لـ ٦٠ مليوناً من البشر.. ما كان يمكن أبداً أن يمارسوا حريتهم، وديمقراطيتهم كاملتين وهم يصطدمون كل يوم.. بعقبات، وصعوبات تمس أرزاقهم.

إن البطون المليئة.. تشحذهم أصحابها..وتنشط عقولهم..وتثير فيهم نزعات الإيثار، والتضحية.. عكس الأفواه الجائعة التى لا تنفث سوى سموم الحقد، والكراهية.

●●●

الحمد لله.. أن الرئيس مبارك وضع يده على المفاتيح الأساسية التى أضاءت نور القلوب، والعقول.. وحثت السواعد على البناء، والتشييد، والتعمير فى جميع المواقع.. ليعم النور كون مصر بأكمله.

نظرية جديدة.. فى العلاقات الدولية

هذا التقدير الدولى الكبير لمصر.. لم يأت إلا نتيجة جهد، وعرق، وحركة دؤوبة نشطة لم تهدأ على مدى خمسة عشر عاماً من الزمان.

لقد تسلم الرئيس مبارك مقاليد الحكم.. وعلاقاتنا بكثير من دول العالم شبه ممزقة.. فكان قراره منذ اليوم الأول.. إعادة صياغة هذه العلاقات.. وفقا لمبادىء ثابتة ومحددة أهمها: الاحترام المتبادل، وعدم التدخل فى إرادة الشعوب، والمصارحة، والمكاشفة.

لقيت دعوة الرئيس القائمة على الحق، والعدل تأييدا شاملاً .. الأمر الذى أدى إلى تغيير صورة العلاقات السياسية الدولية بأكملها.

●●●

من أهم سمات الرئيس مبارك.. أنه رفض استخدام السياسة فى مناورات، وألاعيب تستهدف مصلحة فرد أو جماعة على حساب الآخرين.. بل تعامل مع الجميع.. بقلب مفتوح .. كلمته واحدة لا تقبل اللبس والتأويل .. يقول للمخطىء .. لقد أخطأت.. والمصيب . . أصبت.. فأدرك المجتمع الدولى أنه ـ بحق ـ أمام نموذج يجب أن يحتذى .. ليقبل الشرق والغرب.. على مصر..مؤيدين، ومؤازين.

●●●

على الجانب المقابل .. أكدت تجربة مصر بالنسبة لقضية السلام.. أن المبادىء عندها لا تهتز، ولا تتغير.. لا تؤثر فيها مزايدات طرف من الأطراف.. ولا تفت فى

عضدها أصوات عالية خاوية.. ولأن الدنيا بأسرها تساند السلام، وتناصر أهدافه السامية.. فقد اعتبرت النهج المصرى.. بمثابة القاعدة الأساسية للاستقرار، والأمن فى منطقة الشرق الأوسط.

●●●

والآن.. تعالوا نتأمل.. كيف ينظر العالم لمصر..؟

● الولايات المتحدة الأمريكية .. بشتى عناصرها.. الادارة، الكونجرس، رجال المال، والاقتصاد .. المنظمات السياسية على اختلاف نوعياتها.. الكل يرى .. أن الرئيس مبارك استطاع بقدرة، واقتدار .. أن يخلق مناخاً سياسياً، واقتصاديا قفز بالوطن إلى مرحلة ما كان يمكن أن يصل إليها إلا بعد سنوات وسنوات.. لقد اختصر مبارك الطريق.. فوفر لشعبه مقومات الانطلاقة التى تصبو إليها أكثر الدول تقدماً.

● روسيا .. التى اختارت طريقا غير الطريق.. وفتحت لأول مرة منذ سبعين عاماً نوافذ الحرية، والديمقراطية..وطبقت نظام آليات السوق فى الاقتصاد .. هذه الدولة مترامية الأطراف والتى مازالت لديها قوة الردع النووى.. تضع مصر فى أولوية اهتماماتها حيث يصف الزعماء الروس.. الرئيس مبارك بأنه صاحب الخبرة الذى يجدر الاستفادة به.. إذ يكفى أنه استشعر ملامح العالم الجديد.. قبل أن تبدو تلك الملامح فى الأفق بفترة طويلة.

من هنا.. فإن الروس يتطلعون دوما إلى دعم مصر السياسى.. وإلى اقامة علاقات اقتصادية، وتجارية معها تفوق الحدود والحواجز بكثير.

●●●

● أوروبا.. المتمثلة فى فرنسا، وألمانيا، وايطاليا، وبلجيكا، وهولندا، وبريطانيا.. وغيرها.. وغيرها.. التى يرتبط زعماؤها بعلاقات وثيقة مع الرئيس مبارك والذين يعلقون عليه الآمال الكبار لتحقيق السلام العادل والشامل رغم الصعوبات التى تعترض المسيرة بين أونة وأخرى.. أوروبا هذه.. لم تكن حريصة فى أى وقت مضى على تنمية علاقاتها مع مصر... مثلما هى الآن.. والسبب يكمن فى شىء واحد.. هو

أن الرئيس نجح فى أن يثبت لأوروبا.. أن السياسة والاقتصاد عندنا يرتكزان على أرض صلبة لا تهتز تحت وطأة أى ظرف من الظروف.. حيث أن مقومات دولة المؤسسات تكفل لهما الحماية وتمنع المساس بهما من قريب، أو من بعيد.

●●●

نفس الحال بالنسبة لليابان.. التى ضرب رئيس وزرائها أثناء الانتخابات التشريعية التى جرت بها المثل بمصر التى استطاعت إقامة بنيان ديمقراطى.. وأتاحت الفرصة لكافة الأحزاب «الشرعية» الموجودة فيها.. للتعبير عن آرائها واتخاذ المواقف التى تحلو لها دون ضغط أو قيد.

ونفس الحال أيضا بالنسبة «لأفريقيا» التى تشهد شعوبها بأن مصر هى التى دافعت بجرأة وشجاعة عن حقوق الانسان.. بصرف النظر عن اختلاف الزمان، والمكان.

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

ما أحلى .. أن تكون صورة بلادك فى عيون الآخرين .. رائقة المعالم..محددة الزوايا، والأبعاد.. وما أروع أن تسمع اسم مصر يتردد على الألسن فى اعجاب، واعزاز.. وما أسعدنا ونحن نتقدم «الركب الدولى» بثقة وإيمان، ويقين، وتواضع.. ليبادلنا العالم وداً بود، وتضحية بتضحية، وعهداً بعهد.

حقًا . . أنه "جوهر الإنسان"

«لقد اخترته نائبا لى ليس لكونه طيارا، أو قائدا للقوات الجوية، أو أحد قادة أكتوبر فحسب.. بل لأنه قبل هذه الاعتبارات يمثل جوهر الإنسان فى وطننا.. هو المقاتل المصرى بأصالته، وقدراته، وخبرته.. وفى كل مراحل حياته كان يقتحم الموت ليحمى لنا الحياة.. باختصار لأنه يمثل جيل أكتوبر الذى يجب أن يتقدم نحو مواقع القيادة العليا للدولة.. وحتى يصبح هذا الجيل ممثلا ومعبرا عن روح، وبيئة، ومناخ السادس من أكتوبر.. يوم أن تخطت قواتنا المسلحة باسم الشعب، والأمة .. كل عوائق وأسوار المستحيل».

●●●

هكذا كان الرئيس الراحل أنور السادات.. يرى «محمد حسنى مبارك» الذى سلم له شعب مصر فيما بعد زمام القيادة من خلال استفتاء غير مسبوق أسفرت نتيجته عن ٩٨,٤٦ ٪ قالوا.. أهلاً ومرحبا من مجموع الذين أدلوا بأصواتهم.. هذا الشعب نفسه هو الذى يشهد ونحن نستقبل مع الرئيس مبارك عاماً جديداً من حكمه «المبارك» .. بأنه حمل الأمانة.. بكل اخلاص، وتفان، وثقة، وإيثار، وتضحية.

●●●

فى أول خطاب له بعد تنصيبه رئيسا للجمهورية.. تعاهد «حسنى مبارك» مع الشعب على البدء فى انطلاقه نحو المستقبل، والسعى نحو أمل لا يعرف الحدود..

موضحا أن سبيلنا فى ذلك.. العمل الجماعى، والالتزام بالموضوعية، وانكار الذات على أساس تكافؤ الفرص، والمساواة، ومحاربة الاحتكار فى شتى المجالات.. السياسية، والاقتصادية، والفكرية،والثقافية.

وتعالوا نستعرض معاً.. ماذا قال الرئيس فى أول خطاب له للأمة لنتثبت بالدليل والبرهان.. كيف أن «حسنى مبارك» لم يبدل ثوبا، ولم يغير جلدا، ولم يخلف وعدا.. بل حرص على أن تكون الحقيقة هى المعيار، والأساس، والصدق هو الوسيلة والغاية معاً:

- يجب أن نتمسك بالحق فى المبادأة الفردية والجماعية.

- الهدف القومى هو الأسمى، والأعلى، والاختلاف فى سبيل تحقيقه هو اختلاف لاخلاف.. وتبادل للرأى .. لا تبادل للاتهامات.. هو تلاحم لانارة الطريق.. لا تناحر يظلم الطريق.

- الأقلية مطالبة باحترام رأى الاغلبية.. وعلى الأغلبية ألا تتجاهل رأى الأقلية.. والمعارضة قادرة على الاسهام فى نجاح المسيرة القومية بتقديم الرأى المدروس، والنقد النزيه البعيد عن التجريح، والتشهير، والتجنى، والاشتراك مع الحكومة فى المواجهة الشاملة لمشاكل الجماهير.

- ينبغى أن نقدم جميعاً القدوة الصالحة لأنها أساس كل عمل صالح.

- مسئوليتنا الأولى فى مرحلة السلام.. بناء الاقتصاد المصرى على أسس متينة لتحقيق الأهداف الطموحة.

- لارجعة عن سياسة الانفتاح الاقتصادى على أساس أن يكون انتاجيا من أجل صالح الطبقات الكادحة.

- العدل الاجتماعى هو الشرط الأساسى للسلام، والاستقرار.. والهدف.. تحقيق مجتمع الطهارة والعدالة.

- لابد من ايجاد حل جذرى لمشكلة الاسكان.

● ضمان وصول الدعم إلى مستحقيه دون غيرهم.

● السلام.. التزام استراتيجى ثابت .. وليس موقفا تكتيكيا.

● مصر حريصة على التعامل مع الدول الكبرى حسبما تبديه من نوايا طيبة واستعداد حقيقى للتعاون دون المساس بسيادتها.

● مصر دولة عربية أفريقية.. لا شرقية ولا غربية.. ولن تدور فى فلك أى دولة.

● لن نتوانى عن توفير كل سبل القوة، والمنعة لقواتنا المسلحة لتكون على أرفع مستويات التدريب، والتنظيم، والكفاءة القتالية.

●●●

إن كل تلك الثوابت التى حددها الرئيس مبارك فور توليه المسئولية .. ظلت دائما موضع القلب، والعقل.. يصل الليل بالنهار.. لكى تتحول مع بزوغ كل فجر جديد إلى واقع حى يلتف حوله الأبناء، والآباء.

من منا ينكر.. أن الرئيس مبارك عمل بكل ما أوتى من قوة.. على تجميع كل القلوب.. لم يفرق يوماً بين مؤيد، ومعارض.. أو بين صغير، وكبير.. بل دائما يؤكد أن مصر فوق الرؤوس.. فتآلفت الأرواح، واتحدت السواعد.. وتراجعت الصغائر أمام عظمة الأم الرؤوم.

وحينما دعا مبارك الأقلية لكى تشارك، وتساهم فى دعم البنيان الديمقراطى .. فلأنه مؤمن بأن المصريين جميعاً سواء.. وهاهى المعارضة تشهد بأن ما توفر لها من حرية فى إبداء الرأى، وفى تكوين الأحزاب، وفى ممارسة الحقوق السياسية.. انما تعد أوسمة على صدر هذا العصر.

●●●

وإذا كان الرئيس مبارك قد أعلن منذ اليوم الأول عن ضرورة بناء الاقتصاد المصرى على أسس متينة.. فقد أثر على أن يبدأ العمل لتحقيق هذا الغرض فى أول

يوم عمل رسمى له.. والدليل.. ذلك الاصلاح الاقتصادى الذى أخذ من وقته وجهده الكثير.. ليثمر فى النهاية عن تنفيذ برامج للتنمية لم تسمع عنها مصر من قبل.. تنمية فى شتى مجالات الحياة.. زراعية،وصناعية، واجتماعية، وصحية، وتعليمية، واعلامية، وسياحية.

●●●

وفى كل خطوة يخطوها .. لم يتراجع مبارك عن المبدأ الذى استنه.. مبدأ العدل الاجتماعى فقد دافع عنه - ومازال - بكل ما أوتى من قوة.. وفى سبيله وقف وقفات حاسمة مع كل من صندوق النقد، والبنك الدولى للانشاء والتعمير، بل.. ومع كل فرد، أو جماعة تريد أن تجذب الخير لها وحدها بعيدا عن الآخرين.

●●●

أما السلام الذى وصفه بأنه التزام استراتيجى ثابت فقد نال من دعمه ومساندته الكثير والكثير من أجل أن تعيش شعوب منطقة الشرق الأوسط فى وئام، وأمان.. تحت مظلة مشتركة ترتكز على قواعد الحق، والعدل، والعمومية.

●●●

وفى النهاية . . تبقى كلمة:

لقد أحست مصر بالزهو والفخار.. وابنها البار يتباهى بعروبتها، وأفريقيتها متحدثا فى جرأة، وشجاعة وهو يخطو خطواته الأولى نحو مقعد القيادة.. بأنها لا تنحاز لكائن من كان.. باعتبارها .. نبع الحضارة، والتقدم .. مركز الثقل بين العالمين.. فحافظت عليه.. كما يحافظ هو على كل حبة رمل من رمالها الغالية.

ترابها مصون.. وهواؤها نظيف.. وجيشها جسور قوى.. جنوده خير أجناد الأرض .. وأبناؤها وبناتها.. على العهد مع القائد سائرون.

وكل سنة.. وقلاع جديدة ترتفع فوق الأرض الطيبة.. وأصوات حق تدوى .. ومياه عذبة.. تروى أشجار الحب التى تزدهر أغصانها، وتينع مع اشراقة كل شمس.

كل سنة .. والشعب .. والقائد.. يخطوان بحماس وتفاؤل نحو بوابات القرن الحادى والعشرين.

.. وهكذا.. ارتفع الصرح

اهتم عصر مبارك ببناء الإنسان المصرى.. بناء حقيقياً.. بعيدا عن النظريات والشعارات الفضفاضة. وقد امتد هذا البناء ليشمل النواحى المادية، والاقتصادية، والتعليمية، والاعلامية، والثقافية، والصحية.

منذ أن تولى الرئيس مبارك زمام القيادة .. وهو يركز جل همه على رفع مستوى معيشة المواطن بحيث يكون قادراً على الوفاء باحتياجاته، واحتياجات أسرته.. من هنا كانت توجيهاته بمضاعفة مرتبات موظفى الحكومة، وقطاع الأعمال مرات، ومرات.. فضلا عن فتح أبواب الاستثمار على مصاريعها.. لاتاحة الفرصة أمام الشباب، وغيرهم للعمل فى المشروعات الجديدة.. وما استتبع ذلك من تشجيع القطاع الخاص ودعمه بصورة غير مسبوقة سواء قبل ثورة يوليو أو بعدها.. كل ذلك تزامن بالطبع مع إجراءات الاصلاح الاقتصادى التى لولاها ما استطعنا التقدم خطوة واحدة للأمام..وما وفرنا كافة أساليب الحياة التى تتفق بالفعل وكرامة الإنسان المصرى، واسمه، وثمنه الذى أصبح غاليا بحق.

●●●

فى نفس الوقت.. أعلن الرئيس مبارك أن التعليم هو القضية القومية الأولى بمصر.. فكانت النتيجة أن شهدت العملية التعليمية طفرة هائلة فى شتى مراحلها.. حيث أضيف إلى رصيدنا آلاف المدارس الجديدة فأخذنا نقضى نهائيا على نظام الفترتين الدراسيتين بعد أن تخلصنا من مشكلة الثلاث فترات.. وهى المشكلة التى طالما أرقت عيوننا، وعيون أبنائنا وبناتنا.

ولعلنا جميعاً نعرف أن من أهم سمات الرئيس مبارك أنه يتابع متابعة متميزة.. لذا فهو حريص على الاطمئنان إلى أننا بدأنا ندخل افاق القرن الجديد ونحن واثقون من قدراتنا، وامكاناتنا.. والحمد لله تسير الأمور وفقاً للخطط المرسومة لها بكل دقة، ورعاية، واهتمام.

●●●

أيضا.. لم يغفل الرئيس أهمية أن يحصل المواطن على «مساحة شاسعة» من إعلام بلده.. يستقي من نبعها المعلومة الصحيحة، والخبر الصادق، والتحقيق الاذاعي والتليفزيوني الذي يمس نبض الجماهير، ويعبر عنها بكل حياد، وموضوعية، وصراحة.

وانصافا للحقيقة.. يمكن القول.. إن فكر الرئيس قد تمت صياغته بالطريقة التي دخلت قلب جموع المصريين الذين باتوا يتباهون باعلامهم الذي غزوا من خلاله أوروبا، واسيا، وأفريقيا، والولايات المتحدة الامريكية.. تظلهم مظلة الحرية، والديمقراطية التي ترتفع صروحها في اعتزاز، وفخار يوماً بعد يوم.

●●●

وكان للعنصر الثقافي ـ على الجانب المقابل ـ اهتمام خاص.. إذ نال الكتاب، والمكتبة، رعاية شخصية من قبل السيدة قرينة الرئيس نفسها التي غرست في نفوس الاطفال حب القراءة فأصبحوا جميعاً يتنافسون، ويتسابقون من أجل الاستزادة من العلم والمعرفة.

على الجانب المقابل.. تضاعفت أعداد قصور الثقافة في شتى المحافظات .. ولأول مرة في تاريخ مصر.. يحصل أدباء، وشعراء، وقصاصو مصر من الشباب على فرصة نشر إنتاجهم وهم الذين طالما عانوا الأمرين من قبل لكي يرى هذا الانتاج النور.

●●●

أما الرعاية الصحية.. فهاهي دلالاتها واضحة.. مستوى الخدمة بالمستشفيات الحكومية يتحسن تحسنا مطردا.. الدواء يتوفر بأسعار معقولة.. مراكز التأمين الصحي

تنجد وتسعف المرضى آناء الليل وأطراف النهار.. حتى المستشفيات التى كانوا يطلقون عليها يوما «استثمارية» دخلت هى الأخرى الطابور وأعلنت التزامها بعدم المغالاة فى الأسعار

●●●

وفى النهاية.. تبقى كلمة

ما أحلى.. أن تكون الجسور بين الحاكم والمحكومين.. قوية.. متينة.. مجردة عن الهوى.. الحاكم يسعده أن يرى أبناء شعبه.. وقد ارتسمت البسمة على أفواههم.. والناس يجدون فى «الزعيم» .. أملهم المبتغى .. وحاضرهم الذى يؤكد فيهم الارادة والتحدى، ومستقبلهم الذى ترسمه ريشة فنان واحد ليعكس طموحات، وأحلام ٦٠ مليونا من البشر.

●●●

.. وتستمر قافلة العطاء، والتجديد، والحب المتبادل، والمودة الخالصة.

معجزة.. الإنسان

•

كم يسعدنا ـ كشعب ـ أن تصبح إجراءات الإصلاح الاقتصادى فى مصر محورا لدراسات، ومقارنات، وتحليلات.. لدى العديد من الهيئات، والمنظمات المتخصصة فى العالم.

أمامى «بحث مطول» أصدره مركز علمى شهير فى فرنسا.. عنوان البحث يتكون من كلمتين فقط : «معجزة .. الإنسان» والإنسان الذى يقصدونه.. هو الإنسان المصرى الذى استطاع بارادته، وصموده، وحضارته، وعلمه، وكفاءته .. اقتحام الصعب ونجح فى الخروج من عنق الزجاجة الضيقة بمهارة، وبراعة، وإتقان.

•••

ولكى ينسب الفضل إلى صاحب الفضل.. فإنه لولا جهد الرئيس مبارك، وإصراره، وعلاقاته المتميزة بزعماء العالم، ورؤيته السديدة، واهتمامه اللامحدود بمصالح القاعدة العريضة من المواطنين.. ما كان يمكن أن يخرج هذا الإصلاح إلى النور.. بتلك الدرجة العالية من الكفاءة.

نحن نعترف بأننا حينما فكرنا فى الاصلاح.. كنا نبدأ من الصفر .. فالتركة ثقيلة.. والمشاكل التى خلفتها الحروب المتتالية لا تحصى ولا تعد والحكومات المتعاقبة قبل الثورة وبعدها لم تنظر للأمور نظرة شاملة، وعامة.. وواعية.. وبالتالى ازداد العبء أكثر وأكثر .. فى وقت تحتاج فيه أساليب المواجهة إلى فن، وروية.

•••

من منا.. لا يذكر الحالة المزرية التى كانت قد وصلت إليها مرافقنا.. والتى عانينا جميعا منها .. حيث لا مياه تصل للأدوار العليا، ولا كهرباء تعمل بانتظام، ولا خطوط تليفونية سليمة.. فضلا عن مياه الصرف الصحى التى تسللت إلى المنازل، والحفر، والمطبات التى ملأت الشوارع.. فكان قرار القائد منذ البداية.. بضرورة تجديد البنية الاساسية مهما بلغت التكاليف وقد كان.

عملنا جميعاً بهمة، ونشاط.. نبنى ونشيد فى شتى المجالات.. لكى نهيىء للمستثمرين المناخ المناسب، والأرضية الملائمة.. لترتفع قلاع الحضارة ونشعر - ربما للمرة الأولى فى حياتنا - بأن هاماتنا مرفوعة للسماء وكرامتنا مصونة، وقيمتنا لا تقدر بمال.

لقد أخذت مسيرة الاصلاح تنتقل من مرحلة إلى مرحلة.. بصبر، وأناة، وبتدرج محسوب.. القائد يتابع، ويوجه،وينصح،ويجوب الآفاق سعيا للوصول إلى الهدف المنشود حتى كان له ولنا ما أردنا.

●●●

إن التقارير الاقتصادية فى العالم تقول الآن..

● مصر توفر لأموالك الحماية.

● مصر تفتح الآفاق أمام المستثمرين الذين أصبحوا يلقون معاملة طيبة فوق أراضيها.. هذه الأرض التى يمكن الانطلاق منها إلى افريقيا، وآسيا.

● مصر تضمن لك ودائعك .. فجهازها المصر فى .. تتوفر فيه أعلى معدلات الضمان، والانضباط بصرف النظر عن أية وقائع أو أحداث فردية.

● العمالة المصرية.. يضرب بها المثل فى كل زمان، ومكان.. من حيث الالتزام، والأمانة، والكفاءة.

● الجنيه المصرى يقف ثابتا.. شامخا .. منتصرا.. ولقد أحسن القائد صنعا عندما رفض جميع المحاولات الرامية إلى تخفيضه.

●الـ ١٨ مليار دولار «الاحتياطي» في البنوك.. أكبر حصن أمان للحاضر، والمستقبل.. وهي سابقة لم تحدث من قبل على مدى قرن من الزمان، وأكثر.

●●●

وفي النهاية.. تبقى كلمة:

إن الشعب الذي يستند إلى قواعد «سياسية» متينة، ويرتبط ابناؤه بعضهم بالبعض بنسيج اجتماعي قوي، ويحتمي بقوة عسكرية كبيرة وتظله مظلة اقتصادية تعم البقاع والأرجاء.. مثل هذا الشعب.. جدير بأن تكتب عنه مئات المجلدات والأبحاث.

ولم لا؟؟ أليس شعب مصر؟؟

معه . . سبقتنا الشرق والغرب

نعم... إنها ليست كلمات تقال .. بل هو عمل، وعمل جاد.. من أجل الحاضر، والمستقبل.. من أجل ملايين الأبناء، والبنات... من أجل النهضة المصرية الشاملة التى لابد أن تحققها مصر.. قبل أن تدلف البشرية إلى افاق القرن الحادى والعشرين.

●●●

الرئيس مبارك عندما يؤكد مراراً، وتكراراً.. بأن المواطن المصرى هو هدفه دائماً.. فإنما يحرص على أن تتوفر لدى جماهير الشعب.. المقومات الأساسية للحياة.. التى تضمن لكل منهم.. المأكل، والمشرب، والمسكن، وتوفر لهم الرعاية الاجتماعية، والتعليمية، والصحية.

●●●

كل ذى عينين لابد أن يلمس حجم الانجازات التى تحققت فى شتى المجالات .. وهى إنجازات تشهد بها عظمة عصر تتحدث عنه سجلات التاريخ باعزاز، وفخار.

إنها إنجازات.. صنعتها جهود ضخمة.. وفجر طاقات القائمين بها.. زعيم عاهد ربه، وشعبه.. على أن يكون وفياً للعهد.. أميناً على مصالح الوطن، والمواطنين.. فكان لهم ولنا ما نريد.

●●●

ويعقد الرئيس عشرات بل مئات الاجتماعات التى يتابع من خلالها كل صغيرة وكبيرة فى مختلف النشاطات.. حتى يطمئن إلى أن كل إنسان فوق أرض هذا البلد يحصل على حقوقه دون نقصان.. ولعل مشكلةمصر الأزلية ـ كما نعرفها جيداً ـ تكمن فى قلة مساحة الأرض الصالحة للزراعة.. مما دعا الرئيس منذ اليوم الأول لتوليه المسئولية إلى تجنيد كافة الإمكانات لزيادة هذه المساحة.. وبالفعل .. حدث ما كنا نعتبره حتى وقت قريب ضرباً من ضروب المستحيلات..!

●●●

الرئيس مبارك يعرف جيداً أن إضافة ٥٠٠ ألف فدان جديدة حول بحيرة السد العالى.. يؤدى ـ ولاشك ـ إلى تغيير كامل لوجه الحياة ليس فى تلك المنطقة فحسب.. بل فى كل بقعة من بقاع مصر .. إذ يكفى أن ذلك سوف يؤدى تلقائياً إلى إعادة توزيع الخريطة السكانية.. توزيعاً عادلاً، ومتوازناً.. وبالتالى نتغلب على عقبة أساسية طالما أرقت عيوننا طويلا

فى نفس الوقت.. سوف يجذب المجتمع الجديد المزمع إنشاؤه بإذن الله.. المستثمرين فى الصناعة، والسياحة، والإسكان.. وبذلك تنمو الصروح، وترتفع القلاع، وتتسع دائرة الآمال، والطموحات.

●●●

ولأن «الشباب» يحتلون حيزاً كبيراً فى قلب وعقل الرئيس مبارك .. فإن توجيهاته تقضى دوماً.. بضرورة الارتقاء بمستوى كل ما يقام من أجلهم.. وها نحن نراه .. وهو يراجع بنفسه تصميمات، ورسوم مساكن الشباب مؤكدا على أهمية عنصر «الجمال». كما يضع أمام رئيس الحكومة، والوزراء.. الأبعاد الكاملة لفكرة انشاء الجامعات الخاصة.. مؤكداً أنها سوف تؤدى إلى الارتقاء بالعملية التعليمية فى مصر.. كما تساعد على خلق جيل جديد قادر على التجاوب مع مقتضيات القرن القادم.

●●●

وفى النهاية . . تبقى كلمة:

لقد سبقت مصر فى عصر مبارك .. الشرق والغرب فى إرساء دعائم الحرية، والديمقراطية، وفى تطبيق سياسة التحرر الاقتصادى.. فشجعت القطاع الخاص على المشاركة فى خطة التنمية وعلى اقتحام أبواب جديدة كانت مغلقة دونه.

القطاع الخاص.. يبنى الطرق، والمطارات، ومحطات الكهرباء.. بمساندة الحكومة التى سبق أن وقفت منه فى مرحلة معينة.. موقف العداء.

إن هذه الطفرة الهائلة .. فى الفكر، والسلوك، ووسائل التعامل مع الأشياء.. لم يكن من السهل تحقيقها لولا حسنى مبارك الذى وضع يده على طرف الخيط منذ تولية المسئولية.

ديمقراطية .. فريدة من نوعها

من حقنا ـ كشعب ـ .. أن نتباهى مع الرئيس مبارك .. بهذه الديمقراطية غير المسبوقة التى نعيشها.. وبالتالى .. فكل من يريد أن يزايد علينا.. لابد وأن يجد كل الأبواب مغلقة أمامه.. إذ يستحيل حجب ضوء الشمس تحت وطأة أى ظرف من الظروف.

إنها ديمقراطية ..يسندها الواقع، وتدعمها التجربة .. ترتفع صروحها يوماً بعد يوم.. لتلتقى مع قلاع الحرية..تشكلان معاً .. صورة مبهرة من التعاون، والتآزر بين جميع أبناء الوطن.. تعكس انتماء حقيقيا لكل حبة رمل.. وكل نسمة هواء.

●●●

الأمثلة كثيرة .. ومتنوعة:

هذه الأحزاب التى تمارس نشاطها دون محاولة تدخل من أية جهة رسمية، أو غير رسمية.. تعترض .. تنتقد.. ترفض .. تصدر عشرات الصحف بلا أى قيود .. أليست دليلاً .. على أن المظلة الوارفة تسع الجميع..؟!

مجلس الشعب.. الذى يتعرض ـ كل يوم ـ لهجمات شرسة ضارية.. أليس هو الذى أصدر القوانين التى أعادت الحقوق لأصحابها وتفاعلت ـ بحق وعدل ـ مع قضايا وهموم الوطن والمواطنين..؟؟

وأليس هو الذى راقب أعمال الحكومة .. فنبه، وحذر، وطالب بالتصحيح.. لتأتى الاستجابة دائما.. تعبيرا صادقا عن رغبات الناس، وتطلعاتهم..؟!

إن النتائج التى أسفرت عنها الانتخابات.. رغم كل ما ينالها من سهام، وطعنات.. دلالة من دلالات الديمقراطية .. عندما آثرت الحكومة الابتعاد، ولم تتدخل لصالح مرشح على حساب غيره.

تلك المساحة الهائلة من الحرية التى تتمتع بها صحافتنا - القومية منها، والحزبية - هل يجرؤ كائن من كان على انكارها..؟؟ أم أنها تثير دهشة، واستغراب،وحسد الكثيرين فى الشرق والغرب.. وهانحن نرى بعيوننا.. كيف تعطل الصحف خارج الحدود.. ويزج بالصحفيين فى السجون، وتصادر الكلمة لأسباب لم تشغل أبدا بال الحكم فى مصر

●●●

نحن نتفق - كشعب - مع الرئيس مبارك.. أن هذا المناخ الآمن.. المستقر.. الذى تسوده الديمقراطية، والحرية.. هو سلاحنا فى الدفاع عن ارادتنا الحرة.. وهو الذى كان وسيلتنا فى إجراء اصلاح اقتصادى شد أنظار العالمين.

أنه الاصلاح الذى وضع هدفه دائما - كما يؤكد الرئيس - مصالح القاعدة العريضة من أبناء الشعب، والذى وقف بصلابة لاتلين.. أمام أفكار، وتصورات لا تتفق مع الهدف العزيز.

يكفينا أن دعم السلع الرئيسية - كما يقول الرئيس - لم يمس .. بل وصل إلى ٢٢ مليارا من الجنيهات.. فاحتفظ رغيف العيش بسعره.. واستطاع أصحاب الدخل المحدود الحصول على إحتياجاتهم الأساسية بسهولة عكس الآخرين فى مجتمعات شتى .. بعضها قريب وملاصق لنا.

●●●

وفى النهاية . . تبقى كلمة:

لأن الرئيس مبارك.. «مواطن مصرى» .. اخترناه قائدا، وزعيما.. بارادتنا الحرة.. فإن احساسه بنبض الصغير، والكبير.. الفقير، والغنى.. المعارض، والمؤيد..

ينبع من معايشته للآمال والآلام.. للأحلام والطموحات..لذا.. فالجميع مطمئنون إلى أن الغد الذى ينتظرنا.. سوف يحمل معه ـ بإذن الله، وفضله ـ الخير، والأمل، والبسمة الرائقة.. الصافية.

●●●

ما أحلى .. أن تكون «الصحبة».. أمينة على العهد .. صادقة التوجهات.. خالصة النوايا.

ما أحلاك يا مصر.. بزعامة مبارك.

صورة مضيئة .. لتحرير الارادة

مع طلوع شمس كل يوم.. تؤكد التجربة .. أن مصر بالتخطيط، والعلم..أنجزت الكثير، واستطاعت أن تتغلب على كثير من الصعاب، والعقبات. . وأنها من خلال طاقات وإمكانات شعبها.. سوف تحقق الاكتفاء الذاتى فى طعامها، وشرابها.. وسوف تستغنى بإذن الله عما قريب.. عن المعونات، والهبات.. بعد أن تتوفر لديها الموارد التى تكفى كل الأبناء، والبنات.

●●●

بالتخطيط، والعلم، والرؤية الثاقبة.. تعاملت مصر مع توصيات صندوق النقد الدولى .. فكانت النتيجة أن انتصرت سياسة البعد الاجتماعى التى دافعت عنها بحرارة وإيمان، ويقين.. على «النظريات» التى قد تختلف فكرا، وتطبيقا من مجتمع إلى مجتمع.. ولعل ما نراه بأعيننا الآن فى بعض المجتمعات القريبة أو البعيدة على السواء.. خيرشاهد، وأبلغ دليل.

●●●

بالتخطيط، والعلم، والرؤية الثاقبة.. حرص الرئيس مبارك منذ بداية حكمه على تحرير الارادة المصرية.. وتحرير الارادة.. يعكس معانى عميقة، وأبعادا شتى.. وبالتالى ركز الرئيس على ضرورة الاهتمام بزيادة الانتاج، وفتح الأبواب أمام الاستثمار، وبناء المصانع الجديدة.. مع تجديد المصانع القائمة.. واستصلاح مئات

الألوف من الأفدنة.. انتظارا للحظة الحاسمة التى يصبح فيها العائد.. كل العائد.. مصريا مائة فى المائة.

●●●

الحمد لله..أننا نسير فى الطريق الصحيح.. الرئيس يضرب القدوة، والمثل.. فى العمل، والمتابعة، والتحرك النشط ليل نهار.. بينما معاونوه، ومعهم جميع أبناء الشعب.. لا يبخلون بجهد، ولا يتوانون عن أداء واجب.. فجذب الجميع أنظار الدنيا كلها.

●●●

لعلها كانت رسالة واضحة للداخل، والخارج معاً عَندما وقف الرئيس مبارك فى شموخ، وكبرياء يعلن من العاصمة الأمريكية واشنطن.. أن حياة شعب مصر لا تتوقف على «المعونات الاقتصادية».

إن تلك الرسالة - والحقّ يقال - شحذت همم الناس.. كل فى مجال عمله.. لكى يتفوق، ويتقدم، ويصنع المعجزات.. من أجل أن نقدم فى النهاية برهاننا للعالمين.. مؤكدين أننا بعون الله قادرون.. نرسى دعائم الحاضر.. ونفتح أبواب أمل المستقبل.

●●●

يكفينا.. أننا فى غضون فترة وجيزة.. لن نستورد .. «القمح» من الخارج وطبعا الكل يعرف مدى الحرب التى تعرضنا لها على مدى زمن طويل بالنسبة لهذا المحصول الحيوى الهام الذى يشكل ركيزة أساسية فى غذاء المواطنين.

إن تحقيق الاكتفاء الذاتى من «القمح» .. بمثابة صورة مضيئة من صور تحرير الارادة بمعناها الشامل، والكامل، والعميق.. سوف تعقبها خطوات، وخطوات.. تؤكد.. أن مصر الواعدة.. مصر القادرة.. مصر القوية .. ترتبط مع القرن الحادى والعشرين بعقد لن تكتب بنوده إلا بحروف من نور.

مصالح الجماهير.. فوق كل اعتبار

تعليمات الرئيس مبارك دائما لحكومة الحزب الوطنى: «كونوا مع المواطن البسيط.. حذار من تحميل الجماهير أية أعباء، أو ضرائب.. ارفعوا مستوى الخدمات الصحية .. انطلقوا بالتعليم إلى آفاق أوسع وأرحب.. دافعوا معى بكل ما أوتيتم من قوة عن مظلة الحرية والديمقراطية .. ولنعمل جميعاً على رفع صرحهما يوماً بعد يوم..»

ولعلها ليست مبالغة إذا قلت إن الرئيس مبارك يتصل برئيس الحكومة مرتين أو ثلاثاً فى اليوم ليطمئن قلبه إلى أن «المواطن» يلقى الرعاية التى يريدها له وأن الحكومة تمضى فى طريقها تنفذ توجيهات القائد.. وتعرض عليه ما يصادفها من صعاب .. ثم تؤكد التزامها وتعهداتها تجاه أبناء الوطن.

●●●

إنصافا للحقيقة ... لقد أدت حكومات الحزب الوطنى المتعاقبة واجبها كما ينبغى أن يكون وفقا لظروف كل مرحلة.. وتبعا للإمكانات المتاحة .. لا سيما إذا أخذنا فى الاعتبار.. أن حزب الاغلبية هو الذى أخذ على عاتقه مهمة الإصلاح الاقتصادى.. وهى مهمة صعبة وشاقة.. لها سلبياتها كما لها إيجابياتها.. وقد تعاونت تلك الحكومات بفضل فكر القائد، وجهده، وعمله الدائب المستمر على مدى ٢٤ ساعة يوميا تقريبا.. واتصالاته الدولية الواسعة على أن تجرى الاصلاح من غير أن يدفع أصحاب الدخل المحدود ثمنا باهظا لا يقدرون عليه كما حدث فى شتى البلدان التى مرت بنفس التجربة.

●●●

ثم جاءت حكومة د.الجنزورى.. ولديها منذ اليوم الأول لتشكيلها.. صورة واضحة محذدة المعالم عن «مصر الحاضر والمستقبل وآمال وطموحات بنيها حتى نهاية هذا القرن».. قدمها الرئيس مبارك بتفصيلات دقيقة.. اعتمدت على العلم، والموهبة، والخبرة، والمقارنات المجردة.. طالبا من الحكومة العمل فى إطار هذه الصورة سعيا وراء هدف أساسى.. هو «جنى ثمار الإصلاح الاقتصادى».

●●●

بادرت الحكومة بتنفيذ تعليمات، وتوجيهات الرئيس فورا.. وهى تعليمات وتوجيهات انعكست فى قرارات تخدم مصالح الجماهير.. تصحبها متابعة جيدة للتأكد من التنفيذ.. فى نفس الوقت الذى تعمل فيه على تحقيق انطلاقه أوسع فى برامج الإصلاح.. من خلال الاسراع فى عمليات «الخصخصة».. التى أكدت خلال الآونة الأخيرة .. أن اقتصادنا متين ـ والحمد الله ـ وارضنا آمنه.. مستقرة.. ورأس المال الوطنى أو الأجنبى يتمتع بين ظهر انينا بجميع ألوان الحماية.. والبنية الأساسية متجددة دائما فى خدمة المشروعات العملاقة والصغيرة معاً.

●●●

على الجانب المقابل.. لقد أثبتت حكومة الأغلبية.. أن الأغلبية ـ بالفعل ـ تحتل عندها موضع العقل، والقلب.. فعادت تؤكد التزامهابعدم تحميل المواطن أية أعباء اضافية مع العمل على تثبيت الأسعار.. بل إن رئيس الحكومة د . الجنزورى أصدر عدة قرارات بتخفيض بعض السلع الغذائية .. الأمر الذى يستحيل حدوثه حاليا فى أية بقعة من بقاع العالم نظرا لطبيعة المتغيرات الدولية وتعقد المشاكل الاقتصادية والاجتماعية.

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

نحن نعرف أن أزمة البطالة ليست قاصرة على مجتمع دون غيره.. بعد أن أصبحت تمثل شبه ظاهرة سواء فى أمريكا، أو أوروبا، أو آسيا.. لكن طالما قد أثبتنا بالارادة والتحدى قدرتنا على إحراز أعلى معدلات النجاح فيما عجز عنه الآخرون .. فإننا نحمل د.الجنزورى وحكومته أمانة ندرك مسبقا أنها كبيرة وضخمة.

نحن نطالبه باقتحام مشكلة البطالة بأساليب جريئة، وغير تقليدية .. تسهم فيها الحكومة، وقطاع الاعمال، والقطاع الخاص، والشباب أنفسهم الذين لديهم الاستعداد لبذل المستحيل من أجل تخفيف وطأة تلك الازمة التى لم تعد تليق بالمجتمع المصرى فى هذه المرحلة المتميزة من تاريخه.

ولأننا واثقون فى قدرات، وإمكانات حكومة الأغلبية الحالية .. فنحن فى انتظار «المبادرة» التى تهز الاعماق هزا.

دروس.. من الاصلاح الاقتصادى

قاد الرئيس مبارك.. عملية الاصلاح الاقتصادى.. بقدرة، ، واقتدار، وبراعة منقطعة النظير.. مستخدما كافة أسلحة الحق، والعدل، والعلم، والصبر، والروية.

واجه الرئيس «التحديات» التى قابلت مسيرة الاصلاح.. وأمامه هدف واحد محدد.. هو مصلحة المواطن المصرى.. الذى أكد القائد دوما.. أنه لابد وأن يبقى هذا المواطن موضع القلب، والعقل: حاضره مستقر، ومستقبله آمن.

●●●

دخل مبارك.. أعتى المعارك مع صندوق النقد الدولى.. مؤكدا أن مصر لا تطبق من الاجراءات إلا ما يتماشى مع ظروفها و طبيعة شعبها.. وأن البعد الإجتماعى ركن أساسى من أركان الاصلاح.. وبالتالى لن يفرض عليها كائن من كان ما لا تريده ولا ترضاه.

على الوجه المقابل.. حدد الرئيس لكل مرحلة مواصفاتها، وخصائصها، ورجالها .. من هنا.. مرت إجراءات الاصلاح فى سهولة ويسر.. ودون أن يتحمل المواطنون أعباء كبيرة.. كما حدث فى مجتمعات كثيرة.. إذ أن مبدأ التدرج.. كان دائما موضع الاعتبار.

●●●

.. وحتى لا ننسى.. لقد أشادت منذ البداية المؤسسات والمنظمات الاقتصادية الدولية بكفاءة إجراءات الاصلاح الاقتصادى المصرى.. لا سيما بعد أن أخذت تعقد

المقارنات بينها وبين ما جرى فى مناطق شتى بالغرب، والشرق.. التى قفزت فيها الأسعار بصورة خيالية، وزادت معدلات البطالة، وحققت الفئات القليلة ثراء فاحشا فى غضون فترة زمنية قصيرة.

●●●

وها هى نفس المؤسسات، والمنظمات تعود لتعلن اعترافها بأن نظرتها لمصر.. صحيحة، وصادقة، وقائمة على أسس ثابتة وواضحة.

لا جدال.. أن هذا الاقبال من جانب المستثمرين من كل فج على إقامة مشروعاتهم فى مصر، وضخ رؤوس أموالهم دون خشية أو وجل.. أبلغ شهادة على أننا أجرينا تقييما صحيحا للموقف منذ اللحظات الأولى.. فحققنا أقصى معدلات النجاح.

إن الرئيس مبارك.. الذى اشتهر بمتابعته الدقيقة والحاسمة.. لمواقع العمل، والانتاج.. وتفقد أحوال شعبه آناء الليل وأثناء النهار.. ومعايشته كافة قضايا الوطن.. إنما يحرص على أن يتدارس مع رئيس الوزراء أولا بأول تطورات إجراء الاصلاح الاقتصادى.. والخطوات «المحسوبة» نحو «الخصخصة».. اكرر الخطوات المحسوبة.. لأن مصر لم تتعود اتباع وسيلتين.. الأولى الحلول المؤقتة والمسكنة.. والثانية.. الصدمات المفاجئة .. لأنها توقن.. أن الاثنتين تضران اضراراً بالغاً بالجماهيرالتى تعود الحكم على أن يحيطها بكافة ألوان الرعاية، والعناية.. والاهتمام.

لذلك.. فنحن جميعاً متفائلون.. بل واثقون بأن النهضة الكبرى قد باتت على الأبواب.. نستقبلها بترحاب، ودفء، واعتزاز.. بعد أن شاركنا، ونشارك فى إقامة دعائمها.. بالعمل، والكد، وعمق الانتماء.

لاإرتجالية.. ولاتخبط

أنهى حكم الرئيس مبارك «العشوائيات» فى كل شىء.. فى السياسة، والاقتصاد، والاجتماع.. لأن الرئيس يؤمن «بالتخطيط».. مبدأ، وسياسة.. نظرية، وتطبيقا.. ولعل ما أنجزته مصر خير شاهد وأبلغ دليل.. سواء بالنسبة لإعادة صياغة علاقاتها مع دول العالم، وتبنيها لقضايا الحق، والسلم، والعدل، والمساواة.. أو فيما يتعلق بتجديد البنية الأساسية لشتى المرافق.. من كهرباء، ومياه، وتليفونات، وشبكات مياه وصرف صحى، وطرق.. كما أن الإصلاح الاقتصادى الذى تم بكفاءة نادرة لم يقم على فراغ.. بل حدد الرئيس دعائمه الأساسية حتى يحقق آمال الجماهير وتطلعاتها.

فى نفس الوقت.. واجهت الدولة بشجاعة وجرأة مناطق التجمعات البشرية التى نبتت شيطانيا حيث اعتمدت الأموال اللازمة لإعادة بنائها.. بما يضمن كرامة الإنسان، ويحمى خصوصيته.

●●●

من هنا.. ساد الاطمئنان نفوس جميع فئات الشعب بعد أن أصبح كل مواطن موقنا فى قرارة نفسه بأن مصالحه ومصالح أبنائه ليست عرضة لضربات القدر المفاجئة.. وأنه لن يستيقظ ذات صباح ليكتشف أن الترتيبات التى أعدها فى المساء لبعض أمورحياته الجارية قد انقلبت رأسا على عقب دون ارادته.

●●●

إذن .. عندما ينبرى البعض للهجوم على برنامج «الخصخصة» موزعا الاتهامات جزافا يمينا، وشمالا.. فهؤلاء نقول لهم إن مصر فى عصر مبارك لم تعد

تعرف الارتجالية، أو التخبط.. بل حددت الأهداف جيدا.. ومعها الوسائل التى تقود إليها.. لأن الرئيس ـ كما يعلم الجميع ـ يضع حاضر، ومستقبل المواطن فوق كل الاعتبارات.

●●●

إن شعب مصر يعاهد «حسنى مبارك».. أن يظل معه على العهد.. يبنى، ويعمر، ويشيد.. ويقيم صرح المستقبل من أجل الأجيال القادمة.. على أسس وقواعد متينة وقوية.

إن الطريق واحد.. والأمل مشترك. ومظلة الحب التى تجمعنا.. سوف تزداد رقعتها إتساعا يوما بعد يوم.. بمشيئة رب العالمين سبحانه وتعالى.

عطاء بعطاء .. وثقة متبادلة

لم يتوان عمال مصر ـ على مدى تاريخهم الطويل ـ عن تقديم التضحية، والفداء في سبيل الوطن.. شاركوا بشهامة ونبل في معارك الحرب، والسلام، والتنمية.. ورائدهم في كل وقت.. مزيد من العمل، ومزيد من الجهد، ومزيد من الانتاج.

وإنصافاً للحق.. ارتفعت بهم ومعهم قلاع الصناعة في أماكن شتى من البلاد.. وساهموا بخبراتهم، وكفاءتهم المتميزة في عمليات الاحلال، والتجديد، والتطوير، التي شملت مواقع عديدة في السنوات الأخيرة.. بل أثبتوا من خلال الواقع العملي.. أنهم عند حسن ظن القائد الذي رفع شعار صنع في مصر إيمانا بقدرتهم، وتفوقهم، وقدرتهم على تحمل الصعاب، وتخطي العقبات.

●●●

على الجانب المقابل.،. عايش الرئيس مبارك آمال، ومشاكل، وأحلام، وطموحات عمال مصر.. لم ينفصل عنهم لحظة.. بل تابع دقائق الأمور في المصانع.. ومواقع الانتاج.. طالما يشد على السواعد الفتية مشجعا، ومساندا،، يستمع إلى المقترحات، والأفكار التي تفرزها عقول واعية.. فاهمة.. أصقلتها تجارب السنين والأيام.. يتحاور مع الصغير، والكبير.. مع الأسطى، و«الصبي».. بقلب مفتوح.. نابض بالحب، والود.. والتفاؤل.

●●●

عندما أخذت مصر تطبق سياسة الاصلاح الاقتصادى.. وما استتبعها من «خصخصة» بعض شركات قطاع الأعمال.. وقف الرئيس يؤكد مراراً وتكراراً.. أن عاملا واحدا لن يفقد ميزة من الميزات.. وأن أسرة واحدة لن تضار فى رزقها.. بل قضت تعليمات الرئيس بضرورة النهوض بكافة ألوان الرعاية الصحية، والإجتماعية، والثقافية للرجال الذين يكدون، ويعرقون، ويصلون الليل بالنهار وهم مؤمنون بما يفعلون.. مطمئنون إلى أن الأم الرؤوم التى عاشت تعطى وتعطى.. سوف تظل إلى يوم الدين.. نبع خير، ومصدر نماء، وازدهار.

●●●

إن الرئيس مبارك لم يتخلف ـ والحمد لله ـ منذ أن تولى زمام القيادة عن مشاركة العمال عيدهم فى كل عام.. فهم شأنهم شأن كل مواطن يعيش على أرض هذا البلد.. شغلة الشاغل.. يريد لهم استقرار الحاضر.. وخير المستقبل.. وأمان الغد واليوم.. وها هو الرئيس يعود ليعلن من جديد.. أن أبناء تلك الفئة العزيزة على نفوسنا جميعاً سوف يظلون محط الاهتمام، والتقدير.. يتقدمون للأمام بخطى واسعة وثابتة وهم واقفون على أرض صلبة لن تميد ابدا بإذن الله.

المناطق النائية. . تبتسم لأول مرة

ما أحلى أن تمتد مظلة التنمية لتشمل كل أرجاء مصر.. وما أروع أن يشارك الأبناء - كل بقدر طاقته، وجهده - فى عمليات البناء والتشييد.. ليزداد الصرح ارتفاعا يومابعد يوم.

لقد آمن الرئيس مبارك بحقيقة مهمة تقول انه لاتنمية بلا استقرار.. من هنا ركز همة على ترسيخ قواعد الأمن والاستقرار بهدف تهيئة المناخ للاستثمار لكى تتعدد المشروعات الصناعية، والزراعية، والسياحية وتتنوع.. وبالفعل.. تمكن الشعب المصرى من تحقيق الهدف المأمول لتبدأ الانطلاقة الكبرى فى شتى المجالات.

●●●

دعونا نعترف.. بأن صعيد مصر، وسيناء، وجميع المناطق المتاخمة للحدود الشرقية.. كلها ظلت بعيدة عن دائرة الضوء منذ قديم الزمان.

أكثر من ذلك.. كم استمرت العشوائيات الصارخة.. تخرج لسانها لمظاهر الحضارة والتقدم فى المدن الكبرى دون مواجهة حاسمة.

ثم.. ثم جاء الرئيس مبارك ليضع يده بكل جرأة، وشجاعة وبغير حرج على بؤر الجروح مؤكدا.. أننا إذا كنا قد انتوينا بحق تغيير وجه الحياة على أرض الوطن.. فلا مناص من أن تمتد يد التطوير إلى المناطق النائية، والمعزولة، والتى طالما عانت من الوحدة، والبعاد.

●●●

أصدر مبارك قراراته وتوجيهاته بإزالة كافة العقبات أمام المستثمرين فى نفس الوقت الذى طالب الحكومة، وشركات قطاع الاعمال بتجنيد كافة الامكانات والطاقات التى من شأنها العمل على تبديد الظلام وتحويل الصحراء القاحلة إلى جنة يانعة، وإقامة قلاع العلم، والمعرفة.

بالفعل بدأ النشاط يدب ولأول مرة فى تاريخ مصر الحديث، والقديم معاً.. بمدن ونجوع، وقرى الصعيد.. حيث بلغت جملة الاستثمارات خلال مراحلها الأولى أكثر من ثلاثة مليارات جنيه عبارة عن مشروعات كثيرة فتحت النوافذ، والأبواب أمام السواعد الفتية التى كانت تنتظر بلهفة إشارة العبور إلى الأفق الجديد.

أيضا.. اعلنت سيناء فى كبرياء، وفخار.. بأنها - بحق - أرض الارادة والتحدى.. أرض الحرب والسلام.. أرض النصر والعزيمة.. أرض التعمير والتشييد.. حيث المصانع العملاقة، والمزارع التى تنتج أجود المحصولات، والسياحة المتمثلة فى فنادق عالية المستوى.. وبنية أساسية متميزة.. وهواء نقى نظيف اختص به الله سبحانه وتعالى.. مصر الغالية.

●●●

أما منطقة الحدود الغربية.. فيكفى ما قاله أبناء وشيوخ واحة سيوة الذين ذهب إليهم الرئيس، وجلس معهم على «الأرض».. يستمع، ويناقش، ويرحب بكل فكرة، وكل رأى.

لقد أكد ابناء «الواحة» البعيدة أنه لم يحدث أن شغل أحد باله بهم من قبل.. يمرضون.. يجوعون.. يسقطون صرعى الجهل، والتخلف.. لا يهم.. حتى فوجئوا بالحاكم ينتقل إليهم بفكره، وعقله، وقلبه،.. ومعه تزدهر الحياة.. وتصبح الرمال الصفراء.. منبع الخير، والأمل.

●●●

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

إن أبناء مصر من أقصاها إلى أدناها.. هم الشغل الشاغل للرئيس مبارك.. لا فرق بين واحد وآخر.. الجميع لديه سواء يتطلع معهم إلى تحقيق الحلم الذى ظل طويلا فى طى النسيان.. فكان له، ولهم ما أرادوا.

شرق أوسط.. نظيف

إن شعب مصر، والشعوب العربية كلها تقف بجانب الرئيس مبارك فى دعوته الجريئة والشجاعة والصامدة بجعل منطقة الشرق الأوسط خالية من أسلحة الدمار الشامل.

وسواء ثبت أن هناك تسربا اشعاعيا من مفاعل ديمونه الاسرائيلى أو لم يثبت.. فإننا سوف نتحرك عالميا بكل ما أوتينا من قوة.. من أجل تحقيق الهدف المنشود والذى تنتظره أجيال عديدة متعاقبة.

●●●

لقد تعودت مصر على معالجة المشاكل والأزمات بالحكمة، والموضوعية، والتؤدة، والصبر وبالتالى كان نداؤها للعالمين بحماية المنطقة من أخطار الأسلحة النووية.. لا سيما وأننا نؤمن جيدا بأن تكاليف إنتاج مثل تلك الأسلحة إنما تتحملها أولا وأخيرا الشعوب التى تتطلع منذ أمد بعيد إلى حياة آمنة.. مستقرة تتوفر فيها أساليب الرخاء والرفاهية.

●●●

ما كان أسهل على مصر أن تدخل حلبة السباق.. فنحن والحمد لله لدينا إمكانات تفوق إمكانات غيرنا بكثير.. لدينا العلم، والعلماء.. ومصادر الثروة، والعلاقات الوثيقة «بالخارج» التى تتيح لنا الحصول على احتياجاتنا فى هذا المضمار.. لكن لأننا أشد الحريصين على إنسانية الإنسان.. يومه.. وغده، .. أمنة وأمانة..

حاضره، ومستقبله.. فقد أقمنا سياستنا على تلافى الخطر لافتح الطريق أمامه لكى يستفحل ويشتد.

●●●

من هنا.. فليتذكر العالم.. بأن الرؤية المصرية هى الثاقبة دوما.. هى المجردة عن الهوى.. هى التى تضع فى اعتبارها مصالح البشرية جمعاء دون أدنى تحيز، أو تعصب.. وحينما تتحدث القاهرة عن المشكلة النووية.. فإن حديثها ينبع عن فكر راق متقدم.. بالضبط مثلما تصدى نفس الفكر، لقضايا السلام، والتنمية، والعدل فى الدنيا بأسرها دون أن يكون مقصورا على وطن دون غيره.

●●●

على الجانب المقابل.. فليتأكد هذا العالم.. أننا لن نتخلى عن موقفنا.. لا تراجع ولا تهاون، ولا تفريط فى المبدأ الذى نؤمن به.. فالشرق الأوسط لابد أن يبقى نظيفا.. نظيفا تحت وطأة أى ظرف من الظروف.. ورغم أنف المكابرين والذين أنساهم غرورهم يوما أنفسهم فقعدوا ملومين محسورين..!

معنى.. وقيمة.. وهدف

سوف تظل قمة صانعى السلام التى انعقدت فى شرم الشيخ.. موضع اهتمام، وتقدير الدنيا بأسرها على مدى زمن طويل.. لأن القمة - فى حقيقة الأمر - عكست حقائق هامة تستدعى الدراسة، والبحث، والتقييم.. ليس من قبل الحكومات فحسب.. بل أيضا من جانب الشعوب، والمنظمات، والهيئات المتخصصة المحلية منها أو الاقليمية.

●●●

لعل من أهم تلك الحقائق:

● أولا: إن السلام فى حد ذاته معنى، وقيمة، وهدف لا يمكن التفريط فيه بأى حال من الأحوال.. وإذا كانت «شرم الشيخ» التى انعقدت فوق أرضها القمة رمزا واقعيا وحيا.. من رموز السلام فما الذى يمنع من أن تصبح كل رقعة فى الشرق الأوسط.. قاعدة للتجمع.. وللحوار البناء.. والتعاون الصادق النقى..؟؟

● ثانيا: التأكيد على دور مصر، وثقلها بين العالمين.. وقدرتها على التوحيد بين البشر، والتعبير عن رغبات وطموحات الأبناء والبنات بالموضوعية، والصراحة، والوضوح.

● ثالثا: الاعتراف بأن القاهرة كانت وستبقى العاصمة العربية التى يلتف حولها «الجميع» بل والذى يسلم لها الآخرون عن رضا وطيب خاطر زمام الريادة بهدف أن يكون الصوت العربى قويا.. مدويا.. له تأثيره البالغ، والفعال.

● رابعا: اجماع غير مسبوق فى التاريخ على زعامة «حسنى مبارك».. زعامة خالصة لله، وللوطن، وللشعب.. تستند إلى مقومات أساسية لا تقبل الجدل، أو المناقشة.. منها الموضوعية، والتجرد عن الهوى، والصراحة، والوضوح، والإقرار بحق الانسان فى الوجود، والعدل، والمساواة، والحرية، والديمقراطية.

ودعونا نقولها بصراحة.. أنه نادرا ما تتوفر جميع تلك العناصر دفعة واحدة.. لكن شاءت ارادة الله سبحانه وتعالى أن يهب مصر خلال حقبة متميزة من تاريخها.. الزعيم الذى انصهرت فى بوتقتة كافة الخصال، والصفات،والمبادئ التى تجعلنا نشعر دوما بالفخار، والاعتزاز.

●●●

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

إن نتائج مؤتمر قمة شرم الشيخ سوف تلوح فى الأفق خلال الأيام القادمة.. وهى نتائج أؤكد أنها ستعود بالخير كله على جميع شعوب العالم وليس منطقة الشرق الأوسط فحسب.

المواطن.. شغله الشاغل.. وهدفه الاسمى

نعم التحديات كبيرة.. والعبء ثقيل.. لكن - على الوجه المقابل - الآمال عريضة، والطموحات شاسعة.. لذلك فقد بذل «القائد» أقصى جهده لاستثمار كل طاقة، وكل عنصر، وكل ذرة رمل.. لكي يقفز، ببلده إلى الصفوف الأولى.. وكان الله، والشعب معه.

●●●

يحرص الرئيس مبارك بين كل آونة. وأخرى على أن يلتقي برجال المال، والبنوك.. وبأعضاء مجلس ادارة الهيئة العامة للاستثمار.. وأعضاء المجموعة الاقتصادية.. وبهيئة الوزارة كاملة.

ترى.. لماذا..؟؟ وفى هذا التوقيت بالذات..؟؟

●●●

بداية أود أن أوضح أن أنظمة الحكم فى العالم.. ثلاث:

● النظام الرئاسى.. حيث يكون رئيس الجمهورية هو السلطة التنفيذية التى تعين الوزراء.. وبالتالى لا يجوز للبرلمان.. سحب الثقة من الحكومة لأن هناك انفصالا كاملا بين السلطة التنفيذية ممثلة فى رئيس الجمهورية ووزرائه وبين البرلمان.. وهذا ما تطبقه الولايات المتحدة الأمريكية.

● النظام البرلمانى.. ويقضى بأن يختار البرلمان رئيس الوزراء، ويقر تشكيل الحكومة من غير أن يملك رئيس الجمهورية أية سلطات تنفيذية.. كل ما هناك بعض الاختصاصات الدستورية البسيطة.. مثل حل البرلمان.. وهو النظام المطبق فى بريطانيا.

● النظام المختلط.. الذى يجمع بين النظامين السابقين (الرئاسى والبرلمانى) حيث يكون رئيس الجمهورية هو السلطة التنفيذية نفسها فيختار رئيس مجلس الوزراء، والوزراء وتكون الحكومة مسئولة أمام البرلمان وفقاً للدستور.

هذا النظام تأخذ به كل من فرنسا، ومصر وغيرهما دول كثيرة من العالم.

●●●

من هنا.. يأتى حرص مبارك بصفته رئيساً للسلطة التنفيذية على متابعة أعمال السلطة بأساليب شتى.. لكى يطمئن إلى حسن سير دولاب العمل، وإلى أن أبناء شعبه ينالون نصيبهم الكامل من الرعاية فى مختلف المجالات، كما يتابع بنفسه حل المشاكل الخاصة، والعامة على السواء سواء ما طفا منها على السطح.. أو تلك التى تصر على تهديد مصالح فرد، أو فئة بعينها من وراء ستار.

لنسترجع مثلاً:

● الرئيس يستفسر عن أحوال أبنائه الطلبة وهم يؤدون الامتحانات.. وطبيعة الأسئلة.. وما إذا كانت متمشية مع المستوى العام أم لا.

● الرئيس يستوثق من سهولة إجراءات صرف المعاشات بالنسبة لكبار السن والوسائل التى تستخدم لتوصيل هذه المعاشات إلى كبار السن حتى منازلهم.

● الرئيس يردد من جديد على مسامع الوزراء.. بأن مراعاة البعد الاجتماعى فى الأصلاح الاقتصادى.. مسألة لا تقبل النقاش أوالجدل وأن مصالح أصحاب الدخل المحدود فوق كل إعتبار.

● الرئيس يؤكد، ويؤكد.. على أن الطهارة، والنزاهة، وسيادة القانون..سوف تبقى دائما وأبداً أساس الحكم فى مصر.. ولاتهاون بأى حال فى مبدأ من المبادئ، ولا تراجع عن قيمة أو معنى.

● الرئيس يشرح باسهاب أهمية تشجيع الاستثمار، والمستثمرين، وبناء المدن الجديدة.. حتى نستطيع مواجهة البطالة بأدوات فعالة وإيجابية بخلاف ما يفعله الآخرون فى بلدان عديدة من العالم.

●●●

باختصار.. أن هموم، وطموحات المواطن المصرى.. فى ثنايا عقله دائما.. يحملها معه حيثما وجد.. فما بالنا.. وأعضاء السلطة التنفيذية حاضرون.. الذين تقضى تعليمات القائد، والزعيم لهم.. بأن يكونوا دائما منحازين إلى جانب الشريحة الاجتماعية الأوسع والأعم فى هذا البلد.. من العمال، والفلاحين، والموظفين، والتجار متوسطى الحال.

●●●

ما يثير الإهتمام، والتقدير معاً.. أن الرئيس بعد أن ينهى الاجتماع، ويعود إلى مكتبه، أو منزله.. ثم يكتشف أن قضايا أخرى قد استجدت خلال تلك الساعات الماضية.. سرعان ما يعاود اتصاله بالوزراء المختصين.. ليوجه، وينبه، ويصدر التعليمات التى تكفل للناس.. حياة وادعة آمنة.

الدنيا تتغير.. ومعها صناع الامل والنهضة

نحن نتفق مع الرئيس مبارك فى أن الشعب يريد أن يرى عملا جاداً على أرض الواقع.. إذ لم يعد هناك مجال لمزيد من الدراسات والمناقشات.

ونحن مع الرئيس مبارك فى توزيع المسئولية على الأطراف الأربعة.. الحكومة، وأصحاب الأعمال، والعمال، والقيادات الادارية.

نعم.. لقد بذل الرئيس أقصى الجهد.. لتهيئة المناخ، والتربة معاً لاستقبال الجديد، والمفيد.. فتحمل عن رضا، وطيب خاطر.. تراكمات الماضى.. سهر الليالى.. جاب العالم شرقه، وغربه.. حتى أضحت مصر.. تجمع بين كافة العناصر التى تساعد على تحقيق الثروة .. الامن، والامان، والاستقرار، والبنية الأساسية، وسياسة اقتصادية واضحة، وقاعدة عمالية عريضة.. ثم.. ثم.. إرادة شعب عظيم.

●●●

إن إيمان الرئيس بإمكانات شعب مصر، وطاقات أبنائه، ومواهبهم وملكاتهم.. تجعله دوما واثقاً فى أن الغد أفضل من اليوم.. واليوم أحسن كثيرا من الأمس.

.. وحتى نكون صرحاء أكثر، وأكثر.. نقول إنه لم يكن هناك «أمس» بالمعنى المفهوم.. بعد أن قصرت حكومات ما قبل الثورة، وما بعدها نشاطها على الحلول الوقتية، والمسكنة فقط..!! ثم شاء قدر هذا البلد.. أن يتولى زمام أمره عام ١٩٨١ ..

زعيم لا تشغل باله الشكليات ولا يغريه بريق زائل.. فآثر أن يواجه الواقع.. بجرأة، وشجاعة، وصراحة.. ومن غير تلاعب بمشاعر الجماهير.

●●●

من هنا.. نؤكد من خلال نفس الرؤية الواقعية.. أن الفترة القادمة.. سوف تشهد إنجازات، وإنجازات تنعكس نتائجها على المواطنين من خلال أساليب مباشرة.. لا سيما وان كل عنصر من العناصر الأربعة قد بات يعرف جيدا ما هو المطلوب منه بالضبط خلال تلك المرحلة.

.. وها نحن نكرر اليوم.. المهام. والمسئوليات بكل دقة.. وبلا حساسيات:

■ إن الحكومة مطالبة.. باستثمار كافة الطاقات بوضع «نظام جديد» يتيح الفرصة لكل الأيدى أن تنتج. وجميع العقول أن تفكر.. فقد حان الوقت لإنهاء ظاهرة البطالة المقنعة، وما جرته من ويلات.

أيضا.. واجب الحكومة.. أن تضمن للمواطن العادى «خدمة جيدة» فى شتى المرافق.. فى أقسام الشرطة، ومكاتب السجل المدنى، والشهر العقارى، وجوازات السفر، ومأموريات الضرائب.. وغيرها.. وغيرها.. فى نفس الوقت الذى ينبغى عليها فيه أن تنظر لقضية الاختراعات والابتكارات بمفهوم أوسع، وأشمل.. حتى يرتبط البحث العلمى بالبيئة ارتباطاً وثيقاً، وفعالاً.

●●●

أما العمال.. فهم لا خوف عليهم.. لأنهم - والحق يقال - متواجدون فى الرخاء، والشدة.. إنهم يلبون النداء فى ايثار، وتضحية يشار لهما بالبنان.. كل هدفهم أن تظل هامة مصر مرفوعة أمام العالمين.

●●●

وفى النهاية.. يأتى دور القيادات الإدارية التى تعتبر لب الانضباط، أو أساس التسيب.. فالرأس إذا انصلح.. انصلح حال البدن.. لذلك فإنى متصور أن المرحلة

الجديدة أيضا سوف تشهد نوعيات جديدة متميزة.. تعتبر - بحق - قيادات الغد التى لابد أن تختلف فى أدائها عن قيادات الأمس.

إن الدنيا تتغير.. ومعها - ولاشك - صناع الأمل، والنهضة.

●●●

وبعـــــد..

لاخلاف على أن مصر اعتمدت فى نهضتها الحديثة على العلم، والتخطيط.. وبهما حدثت الطفرة الكبرى خلال الأربعة عشر عاماً الماضية.. والآن.. مادامت الدنيا تزحف نحو القرن الواحد والعشرين بخطى سريعة.. فقد وجد القائد الذى عبر بنا، ومعنا.. فترات صعبة، وحرجة، إنه لابد من دعم سلاح العلم لكى يغزو الآفاق، ويسبر الأغوار.. ويشاركه أقرب المقربين.. التخطيط.. بحيث لا تتجه الأنظار إلى اليمين، أو اليسار إلا بالحق، والمنطق واليقين.

مصر الحاضر والمستقبل.. فى عيون الأمريكان

اتفق المؤيدون والمعارضون فى الولايا ت المتحدة الأمريكية - وهم نادراً ما يتفقون - على أن حكومة الأغلبية فى مصر.. حكومة الحزب الوطنى الذى يرأسه الرئيس مبارك.. تنتهج دبلوماسية رفيعة المستوى وتطبق سياسات اقتصادية ناجحة.. وأن الحكم فى مصر هو النموذج الأمثل لحكم فاهم.. واع.. عاقل.. لا يعرف «الشطط» الذى يمكن أن يضيع مصالح الجماهير.. ولا يتخذ مواقف انفعالية من شأنها تعريض علاقات البلاد مع الآخرين للخطر.

●●●

إن الحزب الديمقراطى الذى ينتمى إيه الرئيس كلينتون.. والحزب الجمهورى الذى يشكل الأغلبية فى مجلس الشيوخ.. دائماً يقف كل منهما للآخر مثل «ناقر ونقير» والحزبان لا يستقران على رأى واحد إلا فيما يتعلق بالمصالح القومية العليا.. تلك بحق الحزبية بمعانيها الصحيحة.. ولقد اعتبر الحزبان أن العلاقة المصرية الأمريكية تمثل صورة مهمة لتلك المصالح.. وبالتالى لابد من أن تتوحد كافة الجهود سواء داخل الإدارة أو الكونجرس من أجل دعمها واستمرارها قوية ومتينة.. لأن أى «ذبذبات» إنما تؤدى إلى نتائج سلبية تضر الشعب الأمريكى.. مثلما تؤثر فى غيره من شعوب العالم.

من هنا.. لايختلف الحزبان الرئيسيان فى أمريكا على ضرورة أن تبقى مصر آمنة.. مستقرة.. لأن استقرارها أنما هو استقرار للعالم بأسره.. ويرى الحزبان أن

المصريين من حقهم أن يعيشوا حياة مزدهرة.. الأمر الذى يتطلب مد جسور التعاون مع حكومتهم لكى تستمر فى تنفيذ خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية على الوجه الأكمل.

أيضاً.. يؤكد المؤيدون والمعارضون فى أمريكا أن تشجيع الحكومة المصرية للقطاع الخاص والاعتماد عليه لتنفيذ نسبة كبيرة من الاستثمارات التى تضطلع بها.. أمر ينبغى التوقف أمامه طويلا.. لذلك تولدت فكرة «الشراكة» التى تقوم على أساس إشراك القطاع الخاص فى كلا البلدين فى إقامة المشروعات الصناعية وتوسيع حجم التجارة بينهما وما يؤدى إليه هذا من خلق فرص عمل كثيرة وزيادة متوسط دخل الفرد.

●●●

وهكذا تكون دائما رحلات الرئيس مبارك للخارج التى تستهدف مصالح مواطنى مصر دون تفرقة بين حزب وغيره.. وبلا استثناء لفئة على حساب أخرى.. إن الرئيس مبارك وهو يجرى مباحثاته واتصالاته يضع مصر ـ كما يضعها دائماً ـ فوق كل الرؤوس.. وبالتالى يأتى المردود شاملاً وعاماً.. ذلك ما يثير انتباه الرأي العام الأمريكى حالياً.. وما تركز عليه الصحف ومنها تلك التى سبق أن انبرت يوماً لمهاجمتنا.. ثم جاء الرئيس كلينتون ليؤكد أن ما نشر لا يعبر عن موقف الإدارة التى تحترم وتقدر مصر.. وتجل دور الشعب المصرى.

●●●

وفي النهاية.. تبقي كلمة:

همسة فى أذن أولئك الذين لا يعرفون حتى الآن كيف تسير الدنيا.. إن أمريكا تحدد علاقاتها من الآخرين وفق معايير وحسابات دقيقة.. وليس من السهل توسيع تلك العلاقات مع طرف خارجى إلابعد أن تتأكد وتقتنع أنه قوى.. مسيطر.. ثابت الأركان.. قادر على تحقيق الانطلاقة إلى المستقبل بإمكاناته وطاقاته وملكاته.

أهلاً بكل الأحزاب.. فى معركة التحديات

نعم.. وألف نعم.. نحن نريد معارضة نزيهة تنتقد وتنصح.. لاتزيف ولاتحرض.. تكتشف أوجه الخطأ، والقصور.. لكن تلتزم بحدود الشرعية.

لقد صدق الرئيس مبارك ـ رئيس كل المصريين ـ عندما أوضح ذلك بكل صراحة.. مؤكدا أن المعارضة، والحكم فى قارب واحد يشكلان معاً نظاما متكاملا.

●●●

إن حزب الأغلبية.. حريص دوما على مديده للأحزاب الأخرى.. يدعوها إلى حواره.. تشاركه فى بحث، ومناقشة هموم المواطن المصرى.. ومعايشة آماله، وطموحاته.. ولم يحدث أن تبنى الحزب الوطنى.. قانونا يمس مصالح الجماهير.. من غير أن يلتقى بممثلى جميع الاحزاب.. يستمع إليهم.. ويستفيد من نصائحهم.. ويعكس مواقفهم تحت قبة البرلمان.. لاسيما الذين شاء قدرهم ألا يكون لهم ممثلون داخل مجلس الشعب.

●●●

إن الدنيا.. تتطور تطوراً مذهلاً لاسيما فى السنوات الأخيرة التى تسبق حلول القرن الحادى والعشرين.. وعلاقات الناس بعضهم بالبعض.. تتشابك وتتعقد.. ولقد أدرك حزب الاغلبية تلك الحقيقة جيداً.. فكان تحركه السريع.. لاصدار تشريعات وقوانين جديدة تتمشى مع ظروف العصر.. قوانين اقتصادية، واجتماعية، وسياسية..

كما بادر بعقد المؤتمرات التى تطرح من خلالها الأفكار، والاقتراحات، والرؤية السديدة التى يمكن استخلاص ثمارها مستقبلا.. لتحديد المسيرة العلمية والعملية السليمة..

انظروا ماذا فعله، ويفعله الرئيس مبارك ـ رئيس كل المصريين ـ من أجل تحقيق طفرة منشودة هائلة فى المجال الاقتصادى تستطيع بها مصر أن تقف على اقدام راسخة فى مواجهة منافسة عاتية لشعوب وحكومات.. هم كل منها.. أن تتفوق على الاخرى.. وان تغزو أسواقها لتحصل على اكبر نصيب «تصديرى»، وأن تجذب لنفسها أكبر عدد من المستثمرين الذين يقيمون صناعات فوق أرضها.. ويفتحون فرص العمل أمام شبابها.. بعد أن أخذت مشاكل البطالة، والتضخم، والكساد.. تهدد مستقبل البشرية فى شتى أرجاء الأرض.

●●●

إن القرارات التى يصدرها الرئيس مبارك.. انما تستهدف مصالح الجميع بلا استثناء.. وليس مصالح طائفة بعينها تنتمى إلى هذا الحزب أو ذاك.. بالعكس.. إن كل بنى الوطن سواء.. لدى القائد، والزعيم.. فلا ينكر أحد أن قرار اقامة أى مشروع فى حدود ٥٠ مليون جنيه مع حصول صاحبه على الأرض مجانا، واعفائه من كافة الرسوم السابقة.. سوف يساعد على تدفق رأس المال إلى مصر.. بل لقد بدأت البشائر تظهر بالفعل.. مما يضفى علينا جميعا مشاعر الاطمئنان، والثقة فى مستقبل آمن باذن الله.

نفس الحال فيما يتعلق بتنشيط سوق المال، وما يتضمنه ذلك من توسيع قاعدةالملكية عن طريق الاسهم والسندات واستثمار السوق فى المساهمة فى تمويل المشروعات الكبرى.. بالضبط.. مثلما يحدث فى أى مجتمع يطبق سياسة التحرر الاقتصادى وهى السياسة التى لم يعد أمامها خيار، أو بديل.

●●●

أيضا.. إن متابعة الرئيس الدقيقة للانتاج الصناعى، وضمان جودته حتى يصبح قادرا على المنافسة عن جدارة، واستحقاق.. هذه المتابعة تحمل ـ ولاشك ـ فى طياتها،

و دلائلها.. معانى جديدة، وعميقة تؤكد التواجد المصرى.. والصناعة المصرية.. وتمهد لنا الطريق لاقتحام آفاق القرن الجديد من أوسع أبوابه.

●●●

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

إن الحزب الوطنى .. حزب الأغلبية.. حزب الخبرات، والعقول.. والكفاءات، والكادرات.. يرحب كل الترحيب.. ببقية الاحزاب الموجودة على الساحة.. والتى أتاح لها نظامنا الديمقراطى إما أن تعود للحياة بعد طول غياب.. أو أن تظهر لأول مرة فى التاريخ.. لكى تنضم إلى قافلة العمل، والجد، والاعداد الدؤوب للمستقبل.. بروح طيبة.. ونوايا خالصة لله والوطن.. نبنى معاً.. ونشيد.. ونعبر بمصر برعاية الله وعنايته إلى آفاق أرحب، وأوسع.

مصر.. فوق جميع الأحزاب

يعتز الحزب الوطنى ويفخر برئاسة حسنى مبارك له.. بقدر اعتزازه وافتخاره بقيادته وزعامته لمصر كلها.. على اعتبار أن حزب الأغلبية.. هو حزب جميع المصريين بلا منازع.

من هنا.. نحن نرفض تلك الدعاوى «الباهتة» التى يخرج علينا أصحابها بين يوم، وآخر.. محاولين فرض وصايتهم - دون وجه حق - على تلك الملايين التى تجد فى رئاسة مبارك للحزب المنعة، والقوة، والمستقبل الآمن المطمئن.

●●●

إن الأحزاب التى تلتف حولها الجماهير.. لابد أن تبقى قوية برجالها، وكوادرها، وبرامجها.. تواجه المشاكل بموضوعية، وإيجابية.. تعايش أحلام، وطموحات الناس بواقعية.. دون تحليق فى سماء الخيال.

●●●

دعونا نعترف ونقرر أن الرئيس مبارك حريص على أن يرجع لحزب الأغلبية قبل إصدار أى قانون يمس القاعدة العريضة.. فعل ذلك.. بالنسبة لقانون العلاقة بين المالك والمستأجر فى الأرض الزراعية.. وفى قانون الثانوية العامة.. وفى قانون الضريبة الموحدة.. وفى قانون المساكن.. حتى عندما أثير موضوع إضافة سنة للمرحلة الاعدادية.. طلب الرئيس أن تكون البداية من الحزب الوطنى.

●●●

ولكى ينسب الفضل إلى أهله.. لابد أن نقول.. إن الرئيس مبارك كان صاحب مبادرة تجديد، وإنشاء البنية الأساسية فى شتى فروعها.. فى الكهرباء، التليفونات، المياه، الصرف الصحى.. وعهد إلى حكومة حزب الأغلبية مهمة التنفيذ.. فأنجزت، وحققت نتائج انبهر لها العالم كله.. عكس الحال.. لو كانت المسئوليات قد توزعت.. وسيطرت النظرة الحزبية الضيقة على مجريات الأمور.

●●●

لقد تبنى الرئيس مبارك حملة تشجيع الاستثمار والمستثمرين على أرض مصر.. فكانت توجيهاته المستمرة بتقديم كافة التسهيلات، وإزالة العقبات.. بهدف إتاحة فرص عمل للشباب، وتحسين أداء الاقتصاد.. والحمد لله.. أن الاستجابة من قبل قيادات الحزب فى شتى المواقع التنفيذية.. جاءت محققة لآمال جميع المصريين على اختلاف انتماءاتهم، ومذاهبهم، وألوانهم.

●●●

.. ثم.. ثم.. هذا الأداء الرائع داخل البرلمان.. هل كان يمكن أن يتم.. من غير حزب قوى متماسك البنيان..؟؟ طبعا.. لا.. وألف لا.. وبالتالى.. إذا تجمدت الحياة النيابية، وتعثر إصدار التشريعات والقوانين.. من يدفع الثمن..؟؟

أليس أنا، وأنت.. الذين نحتاج بصفة دائمة إلى ما ينظم العلاقات بيننا وبين الآخرين.. وما يوفر الرقابة على السلطة التنفيذية وما يضمن للوطن، والمواطنين الأمن والاستقرار.

●●●

على أى حال.. إننى أقول لأولئك الذين لايتمنون للحزب الوطنى الخير، ويطالبون الرئيس مبارك بالتخلى عن رئاسته.. أقول لهم.. إن حزب الأغلبية.. يتمسك بالقائد، والزعيم.. راعيا، وموجها، وناصحاً.. وهاديا.. ويكفيه ويكفينا.. إيمانه العميق.. بأن مصر فوق كل الرؤوس.. وكل الأحزاب.

لامكان .. للمغالطة

كل شئ.. قد تغير، وتبدل فى مصر. ارتفع متوسط دخل الفرد.. أقيمت آلاف المصانع.. أنشئت عشرات المدن الجديدة.. أضيئت القرى، والنجوع بالكهرباء فى كافة أرجاء البلاد.. صعدت المياه إلى الأدوار العليا، دبت الحياة نشطة فى أجهزة التليفونات.. تم اجراء اصلاح اقتصادى غير مسبوق فى التاريخ.. لم يعد موظف الحكومة مقهوراً.. مغلوباً على أمره.. بل بات قادراً على مواجهة الصعب.. بطاقات وامكانات جديدة.. مادية، وأدبية.

●●●

من هنا.. لامكان للمغالطة لأن الحقيقة واضحة وضوح الشمس.. ولامجال للمزايدات.. لأن الإنسان المصرى - على مدى تاريخه الطويل - لديه حساسية كشف الزيف فى الوقت المناسب.

●●●

مثلاً من كان يتصور أن مصر التى عانت من فساد سياسى ظالم، وتدهور اقتصادى عنيف، وقهر اجتماعى بلا حدود قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ .. وخاضت حروباً أربع.. واحدة منها قبل الثورة وثلاثة بعدها.. يمكن أن تصمد، وتقف، وتبنى قواعد مجدها على أسس متينة، وراسخة..؟؟

لقد راهن البعض على استقرار مصر، وأمنها، وتقدم شعبها، واقتحامها آفاقاً جديدة يوماً بعد يوم.. فإذا بالبلد التليد.. والشعب العظيم يخذلان هؤلاء المراهنين..

ويضربان القدوة، والمثل لجميع بلدان وشعوب العالم.. على الاصرار، والتحدى، والجرأة، والتفاؤل.

●●●

إن قلاع الاستقرار تعلو.. وتعلو.. مع طلعة كل صباح مؤكدة لكل البشر.. أن هذا التلاحم بين فئات الشعب.. هو السلاح الذى واجهنا به - ومازلنا - ضلالات ودعاوى الافك ، والزيف، والضلال.

.. ومناخ الأمن الذى يستنشق بفضله الصغير، والكبير.. هواء نظيفاً.. حراً.. لابد أن يبث فينا الرغبة، والأمل للوصول إلى أنبل الغايات، وأسماها.

.. وأخيراً.. يكفينا.. أن إرادتنا والحمد لله.. لايقدر على المساس بها كائن من كان.. فنحن الذين نرسى المبادئ.. والقيم.. وبالتالى لانقبل أن تتعرض هذه المبادئ وتلك القيم لأية هزة من أى نوع.

نحن المدافعون عن الكرامة العربية.. بإيمان، ويقين.. وفى سبيل ذلك.. نقف، ونواجه، ونعلن صيحة الحق مدوية.. لاتحركنا سوى ضمائرنا.. تحوط بنا رعاية الواحد الأحد.

●●●

إن مصر.. كانت وستبقى بإذن الله.. خير الأمم .. ليس بالكلمات.. ولكن بالجهد، والعمل، والايثار، والتضحيات.. وها هو الواقع الماثل أمامنا خير شاهد وأبلغ دليل.. لذلك من يرد أن يموت بغيظه، وكمده، وحقده.. فليمت غير مأسوف عليه!

هل كان يمكن.. بدون نصر اكتوبر؟

هل كان يمكن أن تحقق مصر.. ما حققته.. لو لم تنتصر فى حرب أكتوبر عام ١٩٧٣؟؟

هل كان يمكن أن تخفق رايات الحرية، والديمقراطية عالية.. وأن تعم مظلة القانون كافة المواطنين على اختلاف انتماءاتهم، ومذاهبهم، ومستوياتهم..؟؟

هل كان يمكن أن نجرى اصلاحا اقتصاديا .. يثير اعجاب العالم، ودهشته، وتقديره فى آن واحد.. يوفر لنا مليارات الدولارات من العملة الصعبة، والمحلية.. ويخفض معدلات التضخم، ويزيد نسبة النمو، ويفتح الأبواب أمام المستثمرين من كل فج لاقامة مشروعاتهم فوق أرضنا..؟؟

●●●

بدون نصر أكتوبر.. هل كنا نستطيع اعادة تجديد البنية الأساسية.. ننشئ محطات الكهرباء ، والمياه، والصرف الصحى، والتليفونات، والطرق ونبنى المدن الجديدة.. ونقيم المصانع.. ونستصلح الأراضى..؟؟

.. وبغير هذه القفزة الرائعة من خندق الهوان.. إلى سماء العزة، والكرامة.. هل كنا نجرؤ على الحديث عن السلام الشامل، والعادل الذى يضمن حقوق الشعب الفلسطينى بصفة خاصة، والشعوب العربية بصفة عامة.. ويستهدف إعادة الأرض إلى أصحابها الأصليين..؟؟

.. وهل.. كان سهلاً أن يدوى صوتنا فى الآفاق.. بحيث إذا سمعوه فى الطرف الجنوبى من الكرة الأرضية.. يأتون إلينا.. مؤيدين.. مساندين.. شاكرين.. مواقفنا الناصعة.. رافعين بنا ومعنا.. مبادئ الخير، والايثار، والتكافل الاجتماعى..؟؟

من هنا.. عندما نحتفل بهذا النصر العظيم.. فليس القصد مجرد التغنى بمجد صنعناه بأيادينا، وعقولنا.. بل من أجل استنهاض العزائم، وشحذ الهمم.. لكى تبقى دائما وأبدا روح الارادة، والتحدى، والصمود، والمثابرة تغلف حياتنا فى شتى المجالات.

●●●

لقد شاء قدر هذا الشعب.. وانه لقدر ـ بكل المقاييس ـ عظيم.. أن يتولى زمام قيادته..ابن بار من أبناء أكتوبر.. حرص على أن يعيد بناء مصر السلام.. مصر الاخاء.. مصر المحبة والوفاء.. مصر العطاء، والتضحيات.. على أسس.. زاهرة منحت رحيق عسلها بلاحساب.. لقدوة شكلناها بوجداننا.. ولمثل قدمناه نموذجا يحتذى باختيارنا الحر.

●●●

جاء حسنى مبارك .. إلى موقع المسئولية.. فحافظ على العهد .. ووفى بالوعد .. ورسخ القيم، والمعانى.. ودافع بايمان، ويقين.. عن أشجار النصر.. حتى تظل يانعة أبد الدهر.. نسقيها بجهدنا، وعرقنا، ودمائنا.. فتلقى إلينا بأطيب ثمار النهضة، والتقدم، والأمل.

●●●

هلموا .. يارجال مصر.. ويا شبابها.. ويانساءها.. هلموا.. الى مزيد من التلاحم.. مزيد من التضامن .. مزيد من الانتاج.. مزيد من السباق العاقل نحو القرن الواحد والعشرين.. لكى تعبروا إلى هذا القرن ومعه.. نحو افاق المستقبل الرحبة التى ترسمون خطوطها بأصابعكم الذهبية النادرة.

ثورة يوليو . ليست للمزايدة أو المتاجرة

مستحيل.. أن تصبح ثورة يوليو ١٩٥٢ مجالا لمزايدة، أو متاجرة من أى نوع.. لأنها ثورة شعب.. قرر فى الوقت المناسب.. أن يتخلص من كابوس ثقيل.. طالما جثم على صدور أبنائه سنوات طوالا.

لقد غيرت ثورة يوليو.. كثيرا من الواقع القائم على أرض مصر.. غيرت الانسان.. والمواقف، والتوجهات.. وحررت الارادة.. عندما أطاحت باستعمار كريه، وحكم بغيض.. تعلق بأذياله.. بعد أن باع كرامته.. وانصاع ذليلاً لأهواء ورغبات الغاصبين..!

●●●

نعم .. كان للثورة أخطاؤها، وتجاوزاتها.. لكن انصافا للحقيقة.. لقد عملت على تصحيح نفسها بنفسها خلال حقبات زمنية متعاقبة.. لأنها استهدفت منذ البداية.. مصلحة مصر.. وأبناء مصر.

ربما.. لم يتم تصحيح كل الأخطاء.. وهذا أمر وارد فى كل الثورات.. لكن لقد شاء قدر مصر.. أن يتسلم زمام القيادة فى فترة حرجة «حسنى مبارك» الذى آل على نفسه.. حماية مبادئ يوليو.. والعمل على تنفيذها.. رغم كل الصعاب، والعقبات.

●●●

«لقد كانت الثورة فاتحة عهد جديد.. يضع الكرامة، والعدالة الاجتماعية، والتنمية الشاملة، وحقوق الأغلبية العظمى.. شروطا أساسية للحكم.. كما أنها كانت بداية حركة تحرر وطنى شملت بقاعاً عديدة من بلاد العالم الثالث ترتفع الآن فوق ربوعها .. رايات الاستقلال، والحرية».

من هنا.. حرص حسنى مبارك منذ اليوم الأول لتوليه المسئولية.. على الدفاع عن «العدل الاجتماعى».. بكل ما أوتى من قوة.. أعلن انحيازه لأصحاب الدخل المحدود. . ساند الأغلبية.. فى تحركها الصعب من أجل الحياة.. فوضع خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية لتوفير حياة يظلها الأمن، والخير، والاستقرار للأبناء، والبنات

●●●

عايش حسنى مبارك.. هموم أبناء الوطن.. فلم ينكر عليهم يوما الحق.. فى أن يتعلموا.. وأن ينالوا الرعاية الصحية.. وأن يعلنوا رأيهم بشجاعة، وصراحة، وأن يستمتعوا بمظلة سيادة القانون.. لم يبتعد يوما عنهم بقلبه، أو بفكره.. بل كان - ومازال - المعبر الحقيقى عن رغبات، وطموحات، وآمال الملايين من أبناء هذا الشعب.

●●●

ولأن ثورة يوليو.. أعلت صيحة الحق فى مناطق عديدة من العالم.. فقد دوّت كلمات حسنى مبارك فى العالمين.. تؤكد على حق الإنسان فى تقرير مصيره بيده.. متحررا من أى ضغط، أو قيد.. بصرف النظر عن اختلاف الجنس، أو الدين، أو اللون، أو العقيدة.

يقول «حسنى مبارك»:

«لم تزل يوليو - رغم جميع المتغيرات - نبعا لكل القيم التى تحفظ لمصر دورها الرائد دولة قوية.. مصرية الهوية.. عربية الانتماء.. عالمية الاهتمام.. يحرس أهدافها العادلة جيش وطنى قوى.

دولة يزدهر فيها العلم، وتعلو فيها مكانة الايمان .. تصون دورها القومى.. وفاء لأمتها العربية.. تقف حيث تكون المبادئ وحينما تتطلب المصالح القومية العليا».

●●●

.. ونحن شعب مصر.. نقر، ونعترف.. بأن حسنى مبارك.. خير من حمل الأمانة.. لأنه رجل بحكم نشأته، وطباعه، وتربيته.. أمين.. أمين.. فقد أرسى دعائم سياسته الداخلية، والخارجية على مبادئ الوفاء، والحب ، والتضحية، والايثار ، والصراحة.. لم يتخل تحت وطأة أى ظرف من الظروف عن وعد قطعه على نفسه.. ولم يتلاعب أبدا.. بمشاعر شعبه سعيا وراء جماهيرية زائفة.

●●●

لقد نجح الرئيس مبارك - دون تحيز أو مجاملة - فى أن يجمع كل العرب.. حوله.. لم يختلف بشأنه أحد.. لأن الجميع يقدرون فيه.. شجاعة الرأى.. وصراحة الكلمة.. واحترام المبادئ، والقيم.. نفس الحال بالنسبة للعالم كله.. شرقه، وغربه.. حيث أعاد «رسم» علاقة مصر مع كل دولة من دوله.. بريشة فنان ماهر.. علاقة قائمة على التجرد من نزعات الذات.. وعدم التدخل فى شئون الآخرين.. وتغليب مصالح الجماهير.

●●●

وإذا كانت ثورة يوليو قد وضعت ضمن أولوياتها.. اقامة جيش وطنى قوى.. فإن حسنى مبارك استطاع أن يجعل من هذا الجيش.. الدرع الذى يحمى ارادة الوطن.. ويحافظ على كلمة أبنائه مسموعة فى كل وقت.. ويقيم قواعد ثابتة صلبة لصرح السلام الذى أخذ على عاتقه أمر بنائه طوبة.. طوبة.. يوما بعد يوم.. متسلحا بالايمان، والصبر، وطول البال، وسعة الأفق، ورجاحة العقل.

●●●

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

سوف تظل ثورة يوليو.. شعلة مضيئة دائما.. فى سجلات التاريخ.. لن تتمكن فئة.. أو مجموعة من تشويه صورة الثورة التى قامت أساسا.. لتقضى على الممارسات الباغية لأعضاء هذه الفئة أو تلك المجموعة والتى فرضت من خلالها سطوتها، وجبروتها.. متوهمة.. بأن الظلام يمكن أن يسود إلى ما لانهاية.

أبد.. إن الشمس سوف تشرق كل صباح إلى يوم الدين.. وسوف نظل نحن المصريين.. نحمى بأنفسنا.. مبادئ، وأهداف ثورة يوليو.. ونصحح بأيادينا الخطأ أولا بأول .. فالكمال لله وحده.

حماية الديمقراطية.. مسئولية الحاكم والمحكوم

حقاً.. لابد أن يظل الشعب دائما هو السيد.. وصاحب الأمر والقرار.

ونعم.. وألف نعم لتوسيع قاعدة المشاركة حتى يجئ القرارالوطنى صدى لنبض الأغلبية، ومطالبها.

●●●

نحن جميعاً معترفون - مؤيدون ومعارضون - بأننا قد عانينا كثيرا من العصر الشمولى.. حيث انتهكت كرامة الانسان.. وامتهنت إرادته.. وفرضت اعتى القيود.. على الكلمة، والرأى. .. ونحن أيضا جميعاً معترفون - مؤيدون ومعارضون - بأن صرح الديمقراطية يعلو يوماً بعد يوم.. عن رضا وقناعة سواء من جانبنا، أو من جانب الحاكم.

●●●

هنا.. يثور سؤال مهم:

من الذى تلقى عليه مسئولية الحفاظ على هذا الصرح.. كى يظل مرتفعا دائما..؟؟

الجواب المنطقى:

الحاكم .. فهو الذى بيده الأمر.. وهو الذى يملك زيادة الجرعة فى أى وقت.

لكن الواقع يقول.. أن هذه الاجابة تفتقر الى الصواب بنسبة كبيرة.. لسبب بسيط.. أن الشعب هو الذى عهد اليه منذ سنوات مضت بمهمة الحماية، والرعاية.

●●●

الرئيس مبارك.. من أشد المتحمسين للحرية، والديمقرطية.. وبالتالى يبذل اقصى جهده.. من أجل ازدهارهما مع اشراقة كل شمس.. أما الشعب.. فالمفروض فيه.. أنه المعلم، والمصحح، وحامل الراية الحمراء فى الوقت المناسب.

●●●

لاجدال.. أنه يحدث فى بعض الأحيان.. شطط كبير.. إذ يتعذر على البعض اما عمدا أو جهلاً فهم معانى الحرية، والديمقراطية كما ينبغى أن تكون.

ان الحرية.. لاتعنى حرية فرد بعينه، أو مجموعة أفراد، أو حزب من الأحزاب.. بل انها حرية الكل التى يجب أن يدافع عنها الكل.

●●●

الديمقراطية لم تكن أبدا.. اداة من أدوات الضلال، والزور، والبهتان.

والحرية.. تربأ بنفسها.. أن تستخدم سلاحا للابتزاز، والتشويه، وتلويث سمعة الأبرياء.

●●●

إن الذين استمرأوا التجاوز خروجا على نواميس المجتمع - كما أشار الرئيس مبارك - يسيئون ولاشك إلى الديمقراطية ويضربونها فى مقتل.

إذن .. الأغلبية مطالبة بأن تخرج عن صمتها.. تتصدى، وتناضل من أجل استمرار الأضواء ساطعة دائماً.

فى نفس الوقت.. ينبغى أن تدرك «الأقلية».. أنها أول من سيدفع الثمن باهظا .. اذا شاء القدر وانهار الصرح.. لاقدر الله.

●●●

أن الشمولية لاتفرق بين إنسان، وإنسان.. أو بين مواطن، ومواطن لأنها تقوم على الشك، والريبة، وفقدان الثقة.. الأمر الذى يحتم على الجميع أن يتواروا فى الظلام.

وحكم «الفرد الواحد».. لايعنيه سوى مصلحة «شخص واحد..» وبذلك تتبدد أحلام الجماهير، وتطلعاتها، وأمانيها.

●●●

لقد صدق الرئيس مبارك.. حينما قال: ان للديمقراطية شروطا أساسية لايجوز التفريط فيها.. حتى لاتصبح مدخلاً الى فوضى تقوض نظام المجتمع.

ولاأعتقد .. أن عاقلا واحدا.. يمكن أن يفكر يوماً فى الاضرار بنفسه، أو بأسرته، أو بأمته..!!

انتصرت الديمقراطية . . وتحققت ارادة الجماهير

.. وهكذا تحققت ارادة الجماهير.. وانتصرت الديمقراطية رغم أنف المشككين.. والمزيفين.

لقد ارتفعت الرايات إلى عنان السماء تعلن للدنيا فى فخار، واعتزاز.. أن هذا الشعب الأبى يمسك زمام قراره بيده.. مواجها فى صلابة، وجرأة، وحسم.. أعتى التحديات.

●●●

وقف الشعب.. فى صفوف متراصة، ومتلاحمة.. يبعث برسائل إلى الشرق والغرب يؤكد من خلالها أنه سوف يظل حاميا لأمنه.. محافظا على استقراره.. مدافعا عن قيم الآباء، والأجداد إلى يوم الدين.. وبالتالى لن يسمح لأى جاحد، أو ناكر للجميل بالعبث بمقدراته.. أو تعريض إنجازاته، ومكاسبه للخطر..!

●●●

لاجدال.. أن الأغلبية كانت على مستوى المسئولية .. فمارست حرية الرأى خير ما تكون الممارسة.. وبالتالى جاء قرارها عادلا، وقاطعا، ومنطقيا ومتلائما مع طبائع الأشياء.. والمفروض أن قول الأغلبية هو القول الفصل.. وما عداه لايشكل وزنا، أو ثقلاً من أى نوع..!

لذلك .. إذا حاولت تلك الأقلية ممارسة إرهابها ـ لاسيما بعد أن منيت بالفشل الذريع ـ فالمجتمع مسئول مسئولية مباشرة عن تقويم سلوكها، وتهذيب أدائها.. حتى

تعود إلى الصفوف وقد تحررت من رواسب الماضى.. وأصبحت عضوا صالحا.. نافعا.. ينضم إلى قافلة الأسوياء.

●●●

على أى حال.. إن الشعب الواثق من نفسه.. المؤمن بقيادته.. لن تهتز قواعده لحظة واحدة.. من صيحات الضلال، والبهتان.. ولا من عويل المخادعين الكذابين.. من هنا.. عندما يجتمع «البرلمان الجديد» .. فإن عيون الجماهير ـ كل الجماهير ـ تتطلع إليه باعتباره «الصانع الأساسى» للتشكيل الذى أجمعت عليه وشحذت من أجله عقولها، وفكرها.

إن هذه الجماهير التى دافعت عن إرادتها بكل حرية، وقوة معاً.. هى نفسها التى سوف تحقق النهضة الكبرى ـ إن شاء الله ـ بالبرلمان الجديد ومعه.. على اعتبار أن التشريعات الصادرة عنه.. ستكمل مسيرة العمل التى بدأتها مصر منذ عام ١٩٨١ وأيضا على اعتبار أنه «المراقب» الجيد الذى لن يخشى لومة لائم فى محاسبة الحكومة.. ومساءلة وزرائها ومطالبتهم بأن يكونوا دوما رهن إشارة القاعدة العريضة.. يلبون احتياجاتهم.. ويعايشون همومهم، وطموحاتهم.. ويتولون ـ منذ اليوم الأول لتواجدهم تحت القبة ـ الاسهام فى نسف صنم البيروقراطية المقيت.!

●●●

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

لقد سبق أن أكد الحزب الوطنى أنه يبادل الجماهير الوفاء .. بالوفاء.. والعهد بالعهد.. ولقد التفت الجماهير حول مبادئ الحزب وساندت مرشحيه فكان هذا الفوز الساحق وحصولنا ـ بحمد الله وتأييد الشعب ـ على الأغلبية داخل المجلس.

ونحن.. نكرر أن حكومة الحزب ملتزمة بتنفيذ كافة بنود الخطة الاقتصادية والاجتماعية.. وأنها أعدت من الوسائل والأدوات ما يمكنها من مواجهة مشكلات البطالة، والاسكان بفعالية .. إلى جانب زيادة الانتاج، ورفع معدلات النمو، والاستمرار على طريق خفض العجز فى الموازنة العامة.

●●●

أن الحزب الوطنى - كما عهدتموه - لايفرط فى مبدأ، ولايتخلى عن قيمة ، ولايحنث فى وعد.. إنه مع كل يد تبنى مصر.. ومع كل بسمة أمل على شفاه الأبناء، والبنات.. ومع كل نظرة تفاؤل تتنسمها عيون البسطاء محدودى الدخل.. إنه مصر الأمل.. مصر الحاضر.. مصر المستقبل.. مصر مبارك الثرية بأمجادها التليدة.. وببنيها الذين نذروا أنفسهم من أجل أن تبقى شمسا ساطعة فى الكون كله.

رجل واحد.. في الازمات

يؤكد الرئيس مبارك أن «العدالة الاجتماعية» من أهم دعائم شرعية الحكم الذى يستمد صلاحياته ـ وليس سلطانه ـ من الالتزام بمصلحة السواد الأعظم من أبناء هذا الشعب الكادح الذى لايبالى بالمحن والشدائد، ولايتردد فى مواجهة أعتى التحديات، وتحمل الصعاب حتى عرف طريقة، وتوفرت لديه الثقة فى جدية العمل على طريق الاصلاح، وفى أشخاص القائمين عليه.

●●●

أن فكر الرئيس فى هذا الصدد واضح، ومحدد.. حيث يرتكز على دعائم أساسية ثابتة:

● أولا: يعايش الرئيس هموم، وآلام، وطموحات أبنائه، واخوته من المواطنين.. فهو ليس منفصلا عنهم.. بل يعرف كل صغيرة وكبيرة عن حياتهم اليومية الجارية.. وتلك ـ بلاشك ـ ميزة أن يكون الزعيم من نبت نفس الأرض.. تربى فى أحضان ريفها، وبين ربوع مدائنها.. وظلته سماؤها.. واستنشق أريج هوائها.

أن أهم ما يسعى اليه مبارك أن يوفر للناس البسطاء.. مقومات الحياة الأساسية كى يعيش كل منهم.. وهو راض عن حاضره.. مطمئن على مستقبله، ومستقبل أولاده، وأحفاده.

طبعا.. هؤلاء الناس البسطاء من حقهم أن تكون لديهم تطلعات.. فى مأكلهم، ومشربهم ومسكنهم، واستمتاعهم بوسائل التسلية المختلفة، وهذا ما يؤمن به الرئيس.. ويعمل دوما على تحقيقه..

لاجدال.. أن «الأهداف» لاتكتمل بين يوم، وليلة.. لكن بالعمل، والعمل الجاد، وبذل الجهد، وسد الثغرات، وعلاج الأخطاء.. يمكن «تقصير» الطريق.. وان شاء الله.. سوف يتحقق المراد قريبا.. وقريبا جدا.

● ثانيا: يعتز الرئيس مبارك أيما اعتزاز بامكانات، وطاقات، ومواهب واستعدادات مواطنيه الذين يثبتون جدارتهم يوماً بعد يوم فى شتى المجالات.. الاقتصادية.. والعلمية.. والثقافية.. والاجتماعية.. والسياسية.

لقد تألق ونبغ كثير من الأبناء فى الخارج.. وهذا فخر لمصر.. وواجبنا ـ على الجانب الاخر ـ أن نهيئ الظروف لزملائهم .. لكى يحتلوا أماكنهم المرموقة تحت قرص الشمس داخل بلدهم.. لذلك يحرص الرئيس على أن يرعى المجتهدين، والمجدين.. تقضى تعليماته، وتوجيهاته بفتح مراكز البحث العلمى لهم.. توفير المعدات، والأجهزة.. اعتماد الأموال اللازمة بلا حدود.. حتى تبقى مصر «رائدة» الى يوم الدين.

●●●

ميزة الشعب المصرى ـ التى يحسن الرئيس مبارك استثمارها جيدا ـ أنه رجل واحد فى الأزمات.. حينما تقع أزمة طارئة تتوحد الصفوف.. وتسمو المعانى الحلوة فوق الصغائر.. لا أحد يبحث عن مصلحة ذاتية.. أو يستغل موقفا بعينه لتحقيق مكاسب مادية على حساب الآخرين.

من هنا.. فالرئيس مبارك.. نذر نفسه وحياته.. لخلق «المناخ النظيف».. الذى يعطى لهذا الشعب قوة فوق قوة.. وصلابة فوق صلابة الأمرالذى استلزم وجود «القدوة».. واعلاء رايات الحق، والعدل، وسيادة القانون.. وتلك كلها وسائل، وغايات حددها مبارك منذ ان تولى زمام القيادة عام ١٩٨١ .. ولقد أكدت له التجارب المتتالية

(الحلوة) و (المرة) .. أن مواطنيه أهل ـ بكل المقاييس ـ لتحمل الثقة .. والمسئولية فى آن واحد.

●●●

وفى النهاية .. تبقى كلمة:

إن مفهوم العدالة الاجتماعية عند الرئيس مبارك .. ألا تطغى مصالح طبقة على طبقة أخرى .. بل إن المجتمع كله نسيج متكامل .. يعزف من ثنايا خيوطه الغنى، والفقير .. الكبير والصغير نغمة واحدة مشتركة .. وبديهى أن السواد الأعظم من الناس عندما يلمسون بأن الرئيس ينحاز لهم .. يحمى حقوقهم، يصون كرامتهم، وأموالهم، وممتلكاتهم .. يذود عن آمنهم، واستقرارهم .. فلابد أن يسارعوا تلقائيا لكى يمدوا أيديهم لأبناء الطبقة الأخرى الذين هم أوفر حظا، ومالاً، وجاها. وسلطانا .. فتسير القافلة برعاية الله، وعنايته .. يحوطها دفء المشاعر .. وشراع الحب النقى الطاهر.

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

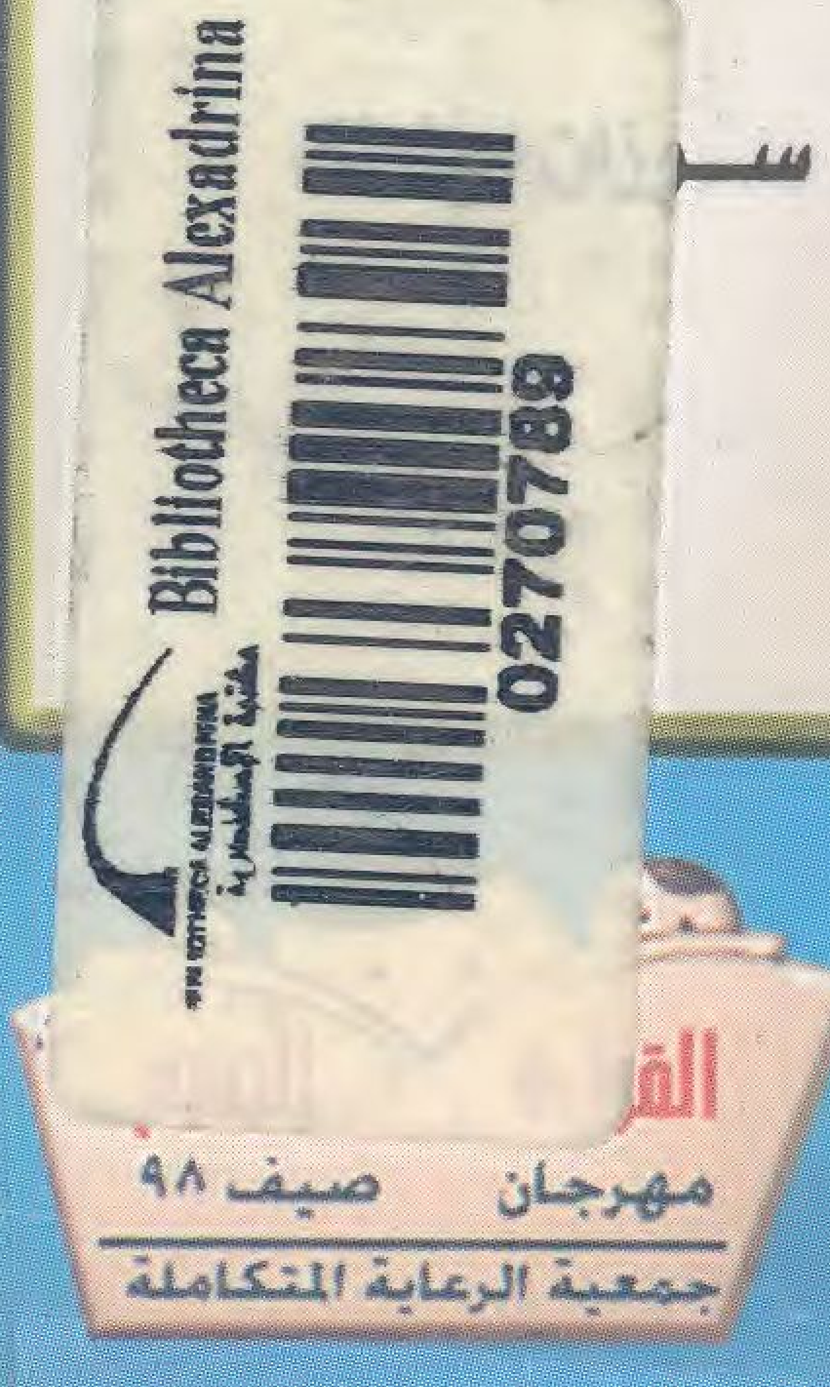
رقم الايداع بدار الكتب ١٠٨٤٨ / ١٩٩٨

I.S.B.N 977 - 01 - 5885 - 2



ومازال نهر العطاء يتدفق، تتفجر منه ينابيع المعرفة والحكمة من خلال إبداعات رواد النهضة الفكرية المصرية وتواصلهم جيلاً بعد جيل. ومازلنا نتشبث بنور المعرفة حقاً لكل إنسان ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة فى كل بيت.

شبَّت التجربة المصرية «القراءة للجميع» عن الطوق ودخلت «مكتبة الأسرة» عامها الخامس يشع نورها ليضىء النفوس ويثرى الوجدان بكتاب فى متناول الجميع ويشهد العالم للتجربة المصرية بالتألق والجدية وتعتمدها هيئة اليونسكو تجربة رائدة تحتذى فى كل العالم الثالث، ومازلت أحلم بالمزيد من لآلىء الإبداع الفكرى والأدبى والعلمى تترسخ فى وجدان أهلى وعشيرتى أبناء وطنى مصر المحروسة، مصر الفن، مصر التاريخ، مصر العلم والفكر والحضارة.



مكتبة الأسرة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨

مائة وخمسون قرشاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب